الفصل الرابع

دراسة تحليلية لفن التشبيه في ديواني الرياض والسباعيات لعيسى ألبي

مقدمة الفصل

استعرض الباحث في هذا الفصل دراسة تحليلية لفن التشبيه في شعر عيسى ألبي، ويندرج تحته ثلاثة مباحث، والمبحث الأول يختص بدراسة مفهوم التشبيه أركانه وأغراضه والتشبيه باعتبار الطرفين والتشبيه باعتبار أداة التشبيه وباعتبار الوجه. بينما يختص المبحث الثاني بدراسة فنّ من التشبيهات الحسية والعقلية وفن من التشبيهات المفردة والمركبة وطرف التشبيه باعتبار تعددهما إلى الملفوف والمفروق والتسوية والجمع. وفي المبحث الثالث الحديث عن التشبيه التمثيلي وغير التمثيلي وفن التشبيه الضمني والتشبيه المقلوب.

المبحث الأول: دراسة تحليلية لفن التشبيه في ديواني الرياض والسباعيات لعيسى ألبي

يتناول الباحث في هذا المبحث مفهوم التشبيه أركانه وأغراضه وكيفية استعماله في بعض الأبيات الشعرية في ديواني السباعي والرياض لعيسى ألبي، وذلك من خلال ثلاثة مطالب كما يلي: –

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

المطلب الأول: المفهوم المعجمي لكلمة التشبيه:

اشتقت من أداة شبّه بتضعيف العين، يقال: شبّهه إيّاه وشبّهه به إذا مثله به، شابهه وأشبهه: ماثله أي: كان مثله: ويقولون: "أشبه فلان أمه" أي: صار عاجزا ضعيفا كالمرأة. وقولهم: "ما أشبه الليلة بالبارحة" مثل يضرب في تشابه اللاحق بالسابق[٢٢٨].

شبّه عليه الأمر: أبهمه عليه حتى اشتبه بغيره، والشيء: مثله، وأقامه مقامة لصفة مشتركة بينهما، والتشبيه إذن: التمثيل[٢٢٩].

التشبيه عند أهل اللغة هو: التمثيل، إذ الشِّبه والشَّبه والشبيه لغويا هو المثل، وأشبه الشيء: ماثله، ومن ذلك قولهم في المثل السائر: "ومن يشابه أباه فما ظلم"، والتشابه اشتراك شيئين فأكثر في صفة أو صفات متماثلات، وقد يؤدي هذا الاشتراك في بعض الأحايين إلى اللبس وعدم القدرة على التذعيين، إذا كان المطلوب فردا معينا، أو صنفا بعينه فيه هذه الصفات[٢٣٠].

وذهب بعضهم إلى أن معنى التشبيه في اللغوي هو: جعل الشيء شبيها بآخر، أي: إعطاؤه شبه غيره، وتصييره على فنونه بحيث لا يتميز عنه[٢٣١]، مستشهدا بقوله جل وعلا: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[٢٣٢] أي: صور إلى غيره بفنونه، فشبه لهم بإلقاء شبهه على غيره.

---

[٢٢٨] المنجد في اللغة والأعلام. ط٤. بيروت: دار المشرق مادة: شبه، ص٣٧٢.

[٢٢٩] إبراهيم أنيس وغيره. *المعجم الوسيط*. مادة: شبه، ص٤٩٦.

[٢٣٠] *البلاغة العربية: أسّسها وعلومها وفنونها*. المكتبة الشاملة. الإصدار الثاني. قسم: لغة ومعاجم. ص٥٨٨.

[٢٣١] محمود، موسى حمدان. ٢٠٠٧م. *أدوات التشبيه: دلالاتها واستعمالها في القرآن الكريم*. ط٢. القاهرة: مكتبة وهبة. ص٩.

[٢٣٢] القرآن. النساء ٢: ١٥٧.

المعنى الاصطلاحي:

على رغم التباين في تعابير المؤلفين والمصنفين في البلاغة العربية فإنها جميعا يقترب بعضها من بعض في حد التشبيه بمفهومه البلاغي ودلالته البيانية في بهرة واحدة، خذ على سبيل المثال تعريف أبي هلال العسكري (ت: ٣٩٥هـ) استمع إليه وهو يقول: "الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر، بأداة التشبيه، ناب منابه أو لم ينب"[٢٣٣]. لآخر يقول: "هو الدلالة على مشاركة أمر الأمر وإن شئت قل: هو إلحاق أمر بأمر بأداة التشبيه لجامع بينهما"[٢٣٤].

ويقول غيرهما: "التشبيه: بيان أن شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بأداة في الكاف أو نحوها ملفوظة أو مقدرة، تقرب بين المشبة والمشبة به في وجه الشبه"[٢٣٥].

ويعرفه المغربي بهذه العبارة: "هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر في عنى، لا على وجه الاستعارة التحقيقية، والمكنى عنها والتجريد، وذلك أن يكون بالكاف ونحوها، لفظ وتقديرا"[٢٣٦].

ويوضح عبد القاهر رأيه هذا في موضع آخر من كتابة بقوله: "واعلم أن الشيئين إذا شبه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين أحدهما: أن يكون من جهة أمر بين لا يحتاج فيه إلى تأويل، والأخر: أن يكون الشبه محصلا بضرب من التأويل[٢٣٧]

---

[٢٣٣] العسكري، أبو هلال. ١٤٠٩هـ. *كتاب الصناعتين*. ط٢. بيروت: دار الكتب العلمية. ص٢٦١.

[٢٣٤] فضل، حسن عباس. ٢٠٠٩م. *البلاغة: فنونها وأفنانها*. ج٢. الأردن: دار النفائس للنشر ص٢١.

[٢٣٥] عتيق، عبد العزيز. ١٩٨٥م. *علم البيان*. المرجع السابق. ص٦٢.

[٢٣٦] المغربي، ابن يعقوب. د.ت. *مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح*. ج٣. مصر: مطبعة عيسى البابي وشركاؤه. ص٢٩٥.

ويلاحظ الباحث أن هذه التعريفات وما اتصل بها من شروح وبيانات وحواش وشواهد إن دلت على شيء فإنما تدل على أن التشبيه "هو عبارة عن مشاركة أمرين أو جملة أمور في صفة أو أكثر، وأن هذه الصفة (وجه الشبه) تكون أشهر غالبا في المشبه به وأكمل عن المشبه، كما هو ملاحظ في تعريف الجرجاني، وأنه لابد من وجود أداة لفظًا أو تقديرًا كما مقتطف من قول العسكري وتعريف المغربي، ولم يكن هناك فرق جوهري بين هذا وذاك وذلك اللهم إلا في الألفاظ والصياغة وزيادة الإيضاح وإيراد الأمثلة والشواهد"[٢٣٨].

أركان التشبيه:

وفيما سبق من التعريفات تدرك أو تشارك السرد أن هناك أمرين ألحق أحدهما بالآخر، أو شارك أحدهما الآخر، وأن هناك معنى جمع بين هذين الأمرين، وأداة ربطت أحدهما بالآخر، تلك الأمور الأربعة هي التي سمّوها أركان التشبيه، فالأمران الأولان هما: المشبَّه والمشبَّه به، والرابط بينهما هو أداة التشبيه، والمعنى الذي اشترك الأمران فيه وجُمع بينهما من أجله هو وجه الشبه، مثلا تقول: "أخلاق كالنسيم في الرقة" فإن هذه العبارة التشبيهية اشتملت على هذه الأركان الأربعة، لأنك شبهت الأخلاق بالنسيم، فالأخلاق مشبّه، والنسيم مشبّه به، والأداة هي الكاف، أما المعنى الجامع بين المشبه والمشبه به فهو الرقة ويسمى: وجه الشّبه.

فأركان التشبيه إذا هي: (أ) المشبه، (ب) المشبه به، (ج) أداة التشبيه، (د) وجه الشبه. إلا إنها متفاوته وغير متساوية، حيث يمكن الاستغناء عن بعضها بناء، ولا تجد النفس مشتقة أو صعوبة في

---

[٢٣٧] الجرجاني، عبد القاهر. *كتاب أسرار البلاغة*. المرجع السابق. ص٧٠-٧١.

[٢٣٨] عتيق، عبد العزيز. ١٩٨٥م. *علم البيان*. المرجع السابق. ص٦٢.و المغربي، ابن يعقوب. د.ت. *مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح*. ج٣. مصر: مطبعة عيسى البابي وشركاؤه. ص٢٩٥.

إدراكه مقدّرا، فالذي يمكن الاستغناء عنه يتمثل في الأداة ووجه الشبه، يمكنك أن تقول في المثال السابق: "أخلاقه نسيم". أما الركنان الآخران ولهما، المشبه والمشبه به فلا يمكن الاستغناء عن واحد منهما، فهما طرفا التشبيه، فإذا حذف أحدهما خرج الكلام عن كونه تشبيها وأصبح فنًّا آخر من إليه الفنون البيانية سيتطرف البحث فيما بعد.

أغراض التشبيه:

فهي عبارة عن البواعث التي تدعو المتكلم البليغ على أن يعقد شبها بين شيئين وهي عديدة، بأن الغرض الأساسي التشبيه التأثير في النفس، فكلما كان التشبيه أكثر تأثيرا في النفس كان تشبيها فنيّا بليغا ومقبولا، وقد حاول علماء البلاغة استقصاء هذه الأغراض مستقرئين ذلك من عدة النصوص البليغة، ملاحظين أن معظم هذه الدواعي إنما يرجع إلى المشبه، ومنها ما يعود كذلك إلى المشبه به.

الأغراض:

١- بيان حال المشبه: ويقصد بهذا وصفه الذي هو عليه، إذا كان غير معروف الصفة التي يراد إثباتها له، فإنه تبعا لهذا يلحق بمشبه به معروف عنه المخاطب، لبيان تلك الحال؛ وذلك كأن تشبه ثوبا بآخر في بياضه، أو نصاعته، أو سواده، أو رقته، وفي قول النابغة الذبياني:

كَأَنَّــكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَــوْكَبُ[٢٣٩]

والغرض هنا: هو بيان حال الممدوح (النعمان) مع سائر الملوك وأمراء الدويلات والإمارات، وأنه إذا ظهر بينهم تضاءلوا أمامه، وطغى أمره على أمره.

[٢٣٩] عباس، فضل حسن. ٢٠٠٨م. *البلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبديع*. المرجع السابق. ص١٤٧.

٢- بيان إمكان المشبه: ومعنى هذا أن المتكلم يأتي بالمشبه فيظن المتلقي أنه غير ممكن التحقق، فيأتي بالمشبه به تدعيما وإثباتا لهذا الإمكان مع البرهنة عليه، كما قال الشاعر:

قَــدْ يَشِيبُ الْفَتَى وَلَيْسَ عَجِيبًا أَنْ يَرى النُوْرُ فِي الْقَضِيبِ الرَطِيبِ[٢٤٠]

انظر إلى قوله: "قد يشيب الفتى"، ثم تصور مدى ما يشيب من فوضى وإنكار وردّ، وما أحوج الشاعر في مثل هذا الموقف إلى الحجة والاستدلال لإقناع المخاطب المنكر وليس إلى ذلك سبيل إلا أن يضرب المثل الواضح مستعينا بصورة تشبيهية فقال: "ليس عجيبا" أن يرى النور في القضيب الرطيب فما عليه إلا أن يقطع الجدال وإنكار إمكان شيب الفتى.

٣- بيان المقدار المشبه: كما في قوله عزّ من قائل: ﴿وَلِلّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أو هُوَ أَقْرَبُ﴾[٢٤١] ومنه قول – عليه أفضل الصلاة والسلام – وهو يشبه الإنسان في هذه الدنيا بمستظل تحت شجرة: "ما لي وما للدنيا"، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها"[٢٤٢].

٤- تأكيد وتقرير ثبوت الصفة للمشبه: وذلك عندما يكون كل من الصفة والمقدار معلومين، وأريد بالتشبيه تأكيد اتصاف المشبه بالصفة وتحقيقها له، قال الله تعالى: ﴿وَإِذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ

---

[٢٤٠] ابن الرومي، علي بن العباس. ٢٠٠٢م. ديوان ابن الرومي. ط٣.ج١. دار الكتب العلمية بيروت لبنان. ص٧٩.

[٢٤١] القرآن. النحل ١٦: ٧٧.

[٢٤٢] رواه الترمذي: *كتاب الزاهد*. باب: ما أنا في الدنيا إلا كراكب، وقال: حديث حسن صحيح.

ظُلَّةٌ﴾[٢٤٣]، فرفع على الجبل رؤوس اليهود، لم تجربه عادة، فوضحه بما جرت به العادة، وهو المظلة للتأكيد والتقرير، ومثال آخر قول الشاعر:

إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا تَنَافَرَ وُدُّهَا مِثْلُ الزُّجَاجَةِ كَسْرُهَا لاَ يُشْعبُ[٢٤٤]

وأكثر ما يكون هذا في تشبيه المعنويات بالمحسوسات المشاهدة، كما في الآية والبيت الشعري، وكتشبيه أعمال الكفار بالسراب والرماد الذي وقته ريح شديدة في يوم عاصف، فإبراز هذه الأعمال في هاتين الفنونتين يقرى في الأذهان حقيقتها، وإنها خادمة يتعلق بها الرجاء، ولكن عندما تشتد الحاجة إليها تذهب فلا يبقى منها في اليد شيء[٢٤٥].

٥- تزيين المشبه: ويقصد به تحسين المشبه والترغيب فيه عن طريق تشبيهه بشيء حسن الصور أو المعنى، ذا غرض عظيم من البيان، وللشعراء قدرة عجيبة على تحسين القبيح، وإن من البيان لسحرا.

ومن أبرز الأمثلة وأروعها في هذا اللون قصيدة ابن الأنباري التي رثا بها الوزير أبا طاهر بن بقية وزير عز الدولة بن بويد، لما صلبه عضد الدولة، فقد أورد فيها تشبيهات كان الغرض وراءها تزيين الصلب وتحسينه في عين الناظر، فمن قول أبي حسن الأنباري:

مَدَدْتَ يَدَيْكَ نَحْوَهُمْ اِحْتِفَاءً كَمَدِهِمَا إِلَيْهِمْ بِالْهِبَاتِ[٢٤٦]

---

[٢٤٣] القرآن. الأعراف٧: ١٧١.

[٢٤٤] علي، بن أبو طالب. ٢٠٠٥م ديوان علي بن أبي طالب. تحقيق عبد الرحيم المارديني. دمشق. ص٢١٤.

[٢٤٥] عتيق، عبد العزيز. ١٩٨٥م. *علم البيان*. المرجع السابق. ص٧٥.

[٢٤٦] الأنباري ، أبو الحسن. ٢٠١٤م. *من أبيات أبي الحسن الأنباري*. قالها أبو الحسن يرثي بها أبا طاهر الوزير محمد بن بقية.

فالأنباري يشبّه مدّ ذراع المصلوب على الخشبة والناس حوله لمد ذراعيه بالعطاء للسائلين أيام حياته، فالمشبه هو هو الصلب (أمر قبيح)، تشمئز منه النقوس، ولكن صورة المشبه به وهي مد اليدين بالعطاء للسائلين قد أزالت قبحه، وزادتها كساء من الحلل الفاخرة.

٦- تقبيح المشبه: هذا إذا كانت صورة المشبه حسنة جميلة من ذي قبل يحاول من أراد أن ينال منه أن يحوّل موطن الفخر ذلًّا، ولا سيما إذا كان المشبه نفسه جيئ بأقبيح منه وأبشع مشبها به، فازداد قبحا على قبح، وأكثر ما يكون في فن الهجاء، وفي باب التهكم والسخرية، اصنع إلى هذا الشاعر:

وَإِذَا أَشَـــــارَ مُحَدِّثًا فَكَـــأَنَّـهُ قِـــــرْدٌ يُقَهْقِهُ أو عَجُـــــوزٌ تَلْطِمُ [٢٤٧]

٧- وقد ذكروا من أغراض التشبيه: استطراف المشبه، وذلك إما لتصويره في صورة ما يتمتع في العادة، ما لغرابة الصلة بين المشبه به والمشبه، وقد ضربوا للأول مثلا بشبيبة الجمن المسك، كما في قول الشاعر:

وَكَأَنَّ مُحْمَرَّ الشَّقِيقِ إِذَا تَصَوَّبَ أو تَصْعَّدَ

أَعْلاَمُ يَاقُوتٍ نَشَرْنَ عَلَى رِمَاحٍ مِنْ زَبَرْجَدِ[٢٤٨]

ومثلوا للثاني بقول الشاعر:

انْظُـــــرْ إِلَيْهِ كَزَوْرِقٍ مِنْ فِضَّـتِهِ قَـــــدْ أَثْقَلَتْهُ حَمُوْلَةٌ مِنْ عَنْبَرِ [٢٤٩]

أما الأغراض التي تعود إلى المشبه:

---

[٢٤٧] أبو الحسن، علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، *شرح ديوان المتنبي.م١*. دار بيروت. ص١٧٣.

[٢٤٨] عباس، فضل حسن. ٢٠٠٩م. *البلاغة فنونها وأفنانها*. ط١٢. دار النفاس. ص١٣٥.

[٢٤٩] نفس مرجع، وصفحة نفسها.

من المؤكد أن التشبيه الذي يعود فيه الغرض إلى المشبه به هو التشبيه المقلوب أو المعكوس كما يسميه بعضهم، وهو أن تجعل الأصل فرعا والفرع أصلا، كما تقول: "كأن رقة النسيم خلقه" وقول محمد بن وهيب:

وَبَـــــدَا الصَّبَاحُ كَـــأنَ غُرَتَهُ وَجْـــهُ الْخَلِيفَةِ حِيـــنَ يُـمْتَدَحُ[٢٥٠]

ومن أبرز أغراضه:

١- شدة المبالغة في اتصاف المشبه بوجه الشبه، وإيهام أنه أقوى منه في المشبه به كما في المثالين السالفين.

٢- بيان شدة الحاجة إلى المشبه به، كتشبيه الجائع القمر في استدارته وإشراقه بالرغيف، للتنبيه على شدة حاجته إلى الرغيف.

ومما لا بدّ من تقريره في هذا الموقف قبل الانتقال إلى موضوع آخر أن أغراض التشبيه عديدة وأكثر من أن تخص، ويمكن القارئ والراغب أو الدارس إدراكها بذوقة وفكرة الشخصي، ولا تنس أن الغرض الرئيس هو ما يحدثه التشبيه في نفس المتلقي من أن يتفاعل معه فيروقه ويؤنسه ويعجبه[٢٥١].

[٢٥٠] عباس، فضل حسن. ٢٠٠٩م. *البلاغة فنونها وأفنانها*. ط١٢. دار النفاس. ص١٣٦.

[٢٥١] متبولي، شيخ كبر. ١٤١٣٤هـ. *صور نيانية في شعر الشيخ محمد الناصر الكبري*. المرجع السابق. ص١٢٥.

المطلب الثاني: فنّ التشبيه باعتبار الطرفين.

قد سبق بيان في الجولة الأولى أن المشبه به هما طرفا التشبيه، وما اللذان لا يمكن الاستغناء عنهما معا أو عن أحدهما بأيّ وجه مهما يكن الأمر من شيء، بخلاف الركنين الباقين (الأداة ووجه الشبه)، تارة تأتي فن التشبيهية متوفرة الأركان من دون استثناء، وهي عند البلاغيين أدنى مراتب التشبيه حيث يلمح أنها المخاطب إذا كان قليل الذوق[٢٥٢]، ضئيل الإدراك ألا يُعمل فيه جهدا ولا يكلفه طاقة أدبية، اسمع المعري يقول:

رُبَّ لَيْلٍ كَأَنَّهُ الصُّبْحُ فِي الحُسْنِ وَإِنْ كَانَ أَسْوَدَ الطَّلْسَان[٢٥٣]

ويسمى البلاغيون هذا النوع من الكلام بالتشبيه التام، ومن هذا الصدد يقوم الباحث بدراسة هذا الفن التشبيهيه من خلال اختيار بعض الأبيات الشعرية للشاعر عيسى ألبي، فوجد الباحث في هذا الصدد أن الأبيات الشعرية التي تتعلق بالفن التشبيهيه فيما يلي التحليل البلاغي في ديواني الرياض والسباعيات من حيث اعتمد الشاعر عيسى ألبي في مواضع عدّة في كلا الديوانين.

(الرياض والسباعيات)، وأتى منه ما يروق العين، ويلذّ الأذن، ويقع في النفس، يقول في "السباعيات":

نَحْنُ إِلَى الإِرْشَادِ فِي احتِياجٍ كُنْتَ لَنَا كَالطِّبِّ فِي الْعِلاَجِ[٢٥٤]

وفي "الرياض " يقول:

---

[٢٥٢] عتيق، عبد العزيز.١٩٨٥م. *علم البيان*. مرجع سابق. ١٠٤.

[٢٥٣] الطيلسان: كساء واسع يلبسه الخواص من العلماء، وهو من لباس العجم، جمعه: طيالس وطيالسة.

[٢٥٤] ألبي، عيسى أبو بكر. ٢٠٠٤م. *السباعيات*. المرجع السابق. ص١٥.

كُنْ كَابْنِ يُوسُفَ فِي الذَّكَا ءِ الفَـــذِّ وَالخُلْـــقِ الحَمِيـــد[٢٥٥]

نعم، في هذين البيتين النموذجين المعروضين يستطيع القارئ البلاغي أن يقف على براعة الشاعر وخياله المجنح حتى كسا هذه العبارة من حلل فكره، وجمال تصويره ما يروق ويعجب، ثم لا يلتفت بعدئذ إلى تاميته (التشبيه التام) حيث كالعناصر وتمت الأركان، مع ذلك فالفن في القمة من البلاغة، في البيت الأول شبه ممدوحه العميد الأسبق لمركز التعليم العربي الإسلامي أغيغي، نيجيريا، الشيخ راجي سليمان وهو أول تلميذ ثم تسجيله على يد العلامة الإلوري، تأمل أيها القارئ تجد أن الضمير المستتر في كنت هو (مشبه) والطب (مشبه به)، والأداة الكاف، ووجه الشبه هو العلاج.

ويلاحظ الباحث أن هذه الأبيات يصفق للشاعر من حيث لا يشعر إعجابا بتوفيقه في توظيف أنماط البيان في النموذج الثاني، وذلك إذا عاد إلى تمهيد الباحث لهذا النوع من التشبيه (التام) حيث إنه يعتبر خطابا موجّها إلى غير المرتقي إلى سلاليم الفن والإبداع والذى يصعب عليه فهم الكلام غير المفصل تفصيلا ودون الموضح توضيحا، انظر إليه في هذا الطور وهو يحدّث طفلا صغيرا علما منه أن الخطاب الموجه إلى مثله لا بدّ من كهلة الأركان، وما أحوج هذا الموقف وما أنسه بمثل هذا النوع من الحديث! اضع إليه مرّة أخرى لتزداد متعة ولذة وتفاعلا معه:

كُنْ كَابْنِ يُوسُفَ فِي الذَّكَا ءِ الفَـــذِ وَالخُلْـــقِ الحَمِيـــدِ[٢٥٦]

و المشبه هنا ضمير أنت في "كن"، والمشبه به ابن يوسف، والأداة الكاف، والوجه "في الذكاء".

[٢٥٥] ألبي، عيسى أبو بكر. ٢٠٠٤م. *السباعيات*. مطبعة ألبي للنشر والطباع إلورن. ولاية كوارا-نيجيريا. ص٦٥.

[٢٥٦] ألبي، عيسى أبو بكر. ٢٠٠٤م. *السباعيات*. مطبعة ألبي للنشر والطباع إلورن. ولاية كوارا-نيجيريا. ص٦٥.

ويرى الباحث أن هذا الطفل على رغم هذا التوضيح والتدلي لا يستطيع التفاهم مع الشاعر إشارةً وإيماءً إلى أنه لو كان هناك أسلوب آخر أدنى درجة وأنصح بيانا من ذلك لاستعمله حتى يفهم هذا الوليد الذي أشرق نور حياته ضيفا في سماء قصر ابن يوسف الدمث الخلق والفذّ الذكاء.

وبدون إطالة مملة، كرّة ثانية تأتي فن التشبيه غير مكتملة الأركان حيث يستغني فيها البليغ عن أداة التشبيه إلى أعلاها، ألا وهذا الغرب الذي يكوّنه طرفا التشبيه وحدهما فقط، من غيرهم يرى لغيرهما من الأركان وجود، ويصطلح البيانيون على هذا النوع بـ"التشبيه البليغ"، وهو ما حذف منه وجه الشبه وأداة التشبيه، وذلك إذا عمد المتكلم إلى المبالغة والإغراق في ادّعائه أن المشبه هو المشبه به نفسه، لذلك أهمل الأداة التي تدل على أن المشبه أضعف في وجه الشبه من المشبه به، وأهمل ذكر الوجه الذي ينمّ عن اشتراك الطرفين في صفة أو صفات دون غيرها، وهو مظهر من مظاهر البلاغة، وميدان فسيح والتسابق المجيدين من الشعراء والكتاب، ومنه قول المرقش:

النّشْرُ مِسْكٌ وَالْوُجُوهُ دَنَا نِيرَ وَأَطْرَاف الأَكُفَ عنمُ[٢٥٧]

وقد شبّه الشاعر النثر بالمسك في رائحة طيبة، والوجوه بالدنانير في والإشراقة، والأنامل المخضوبة بالعنم في الحمرة.

وللباحث أن يفصح ويصرّح بكل طلاقة أن هذا الضرب من التشبيه هو الأكثر ورودا في ديواني الشاعر ألبي مما يدل على عبقريته الشعرية، وشاعريته الفذة، فقد عمد إلى هذا اللون بضروب متنوعة الصياغة، متعددة الديباجة، بحسب المتلقي أن يلمس بأيديه على هذه الأبيات الأدبية الرائعة:

نماذج من " الرياض":

[٢٥٧] عتيق، عبد العزيز.١٩٨٥م. *علم البيان*. مرجع سابق. ١٠٤.

الشِّعْرُ مَمْلَكَةٌ وَأَنْتَ مَلِيكُهَا يَتْخَي فَخُذْ مِنِي ضَئِيلِ مَقَالِي

الشِّعْرُ بَابٌ مُغْلَقٌ فَفَتحتَهُ بِمَفْاتح الْإِلْــهَامَ وَالْأَمْثَــالِ

الشِّعْرُ قَبْلَكَ فِي الْبِلاَدِ مُقَيَّدِ فَنَجَيْتهُ وَفَكَكْتُ كُـلِّ عِقَالِ[٢٥٨]

وفي موضع آخر:

فَإِذَا رَجَعْتَ إِلَى الْمِقَرِ فَقُــلْ لِمَنْ يَلْقَاكَ "صَكَتُــو دَارَ كُلِّ ثَـمِينِ"

بَلِغْ تَـحَايَــانَــا إِلَى أَحْيَــانَـا إِنَّ الْحَبِيبَ رَبِيــعُ كُــلُّ عُيُــونِ

مَــدُّوا جُسُورَ عَلاَقَــةٍ عِلْمِيةٍ بَيْــنَ الشُّعُوبِ فَـذَاكَ ما يرَ ضَنِينِ[٢٥٩]

وفي موضع آخر:

وَصَلَتْ إِلَيّ الْكُتُبُ وَهِيَ حَدِيقَةٌ غِنَــاءُ فِيهَا كُلَّ غُصْــنِ يَثْمُـرُ

هِيَ فِي الْحَيَاةِ هَدْيَــةُ مَحْمُــودَةُ مَنْ لَمْ يُقَــدِمْ مِثْلَـهَا لاَ يَفْخَــرُ

هِيَ مُلْتَقَى الْآدَابِ مِنْ أَرْبَــاهِا هَــــذَا يَقُــوْلُ الشِّعْرُ يَنْثُــرُ

هِيَ وَابِـلٌ تسقي الْغَلِيلَ مِيَاهُهَا يَــا صَادِيَا أَبْشِرْ لِمُــزْنٍ بِمَطَــرِ[٢٦٠]

نماذج من "السباعيات":

أَمْــنِيَتِي أَنْتَ عُمُــرِي وَالْحَــيُّ دُونَــكَ مَيِّــتُ

إِنَّ التَــشَــاؤُمَ ضَيْــفٌ نُــزُولَهُ قَــدْ أَبِيــتَ

إِنَّ الْحَيَــاةَ سِــرَاجُ وَأَنْــتَ فِيــهِ الزِيــتُ[٢٦١]

---

[٢٥٨]ألبي، عيسى أبو بكر. ٢٠٠٤م. *الرياض*. ص٢٣.

[٢٥٩] ألبي، عيسى أبو بكر. ٢٠٠٤م. *الرياض*. المرجع السابق. ص٨٦.

[٢٦٠] ألبي، عيسى أبو بكر. ٢٠٠٤م. *الرياض*. المرجع السابق. ص٧٢.

وقوله أيضا:

إنّ السِّيَـاسَةَ شِّطِرِيحُ تُـزَوالِـهُ أَيْـــدِي الـــرِّجَالِ بِنَـادِيهِمْ بِإتقان

سَادَ التَّقَـاطِعُ بَيْنَ النَّاسِ وَأَسْفَي عَلَى التَّقَاطُـعِ إِذْ يُـؤَدِي بِأَوْطَانِ[٢٦٢]

وفي قصيدة أخرى:

إِنْ كُنْتَ تَـرْجُو أَنْ تَقُـــومَ بِعَـالِيَةِ فَاسْـــأَلْ إِلَـــهَكَ أَنْ يَنْيلَكَ عَافِيَةْ

هِيَ جَـــــؤْهَرُ الْأَجْسَام تَمْنُحُهَا قوى إِنْ غَـــادَرَتْ نَفْسَا فَنَفِـسُ فَـانِيَة

هِـــيَ سِـــرُّ مَـأْكُول إِذَا احْلولى فَإِنَّ سِرّ المَذَاقِ فَـــذَاكَ نَفْسُ حَـاصِيَة[٢٦٣]

يتضح للباحث فيما مرّ أن الشاعر ألبي اعتمد ألوان التشبيه في إبداعه صيغا فنيَّة، تحمل آيات باهرة عن قوة الانفعال، وصدق الوجدان، وإنسانية العاطفة، تضاعف قوي المعنى في تحريك النفوس، وإيقاظ الهمم، وهو قادر على أن يجعل المستحيل ممكنا، والموجود عدما، والعدم موجودا، ومن بديع هذا اللون التشبيه البليغ الذي يسوق الباحث إلى مسمع القارئ ومآه أبياتا استدلالا على براعته وفنيّة ديوانيه، وليس تخفى بلاغة التشبيه البليغ وما يكنه من مغري جليل في إزالة اللبس والإدعاء أن المشبه هو نفس المشبه به، ويلاحظ الباحث أن بعض علمائنا لم يعتبروا هذه الصور تشبيها عندهم بل جعلوها حقيقة مسلمة، على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[٢٦٤] والمقصود أن الله شبّه المشركين بالنجس في حيث اعتقادهم وكفرهم بربهم، وصوّرهم كأنهم هم النجاسة بعينها مبالغة في الوصف، ويروى

---

[٢٦١] ألبي، عيسى أبو بكر. ١٤٢٩هـ. *السباعيات*. مطبعة النهار للطبع والنشر والتوزيع، من منشورات المركز النيجيري للبحوث العربية، مدينة إيوو–ولاية أوشن، نيجيريا.ص٤٥.

[٢٦٢] المرجع نفسه. ص٣٧.

[٢٦٣] ألبي، عيسى أبو بكر. ١٤٢٩هـ. *السباعيات*. مطبعة النهار للطبع والنشر والتوزيع. المرجع السابق. ص٤٦.

[٢٦٤] القرآن. التوبة ٩: ٢٨.

عن الحسن البصري التابعي الجليل – رحمة الله – أنه من صافى مشركا فليتوضأ، كمل نقل عن ابن عباس والحسن البصري ورجحة الرازي والألوسي وهو ظاهر الآية[٢٦٥]، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على الأثر القوى الذي يتركه التشبيه البليغ في قلوب المتلقين.

ومن هنا يركز الباحث على نموذجين فقط من ضمن النماذج المعروضة أعلاه للدراسة والتحليل، أما الأول فقوله:

الشِّعْرُ مَمْلَكَةٌ وَأَنْتَ مَلِيكُهَا يَتْخي فَخُذْ مِنِي ضَئِيلَ مَقَالِي

الشِّعْرُ بَابٌ مُغْلَقٌ فَفَتحتَهُ بِمَفْاتح الْإِلْـــهَامِ وَالْأَمْثَـــالِ

الشِّعْرُ قَبْلَكَ فِي الْبِلاَدِ مُقَيَّدٌ فَنَجَيْتَهُ وَفَكَكْتَ كُـلَّ عِقَالِ[٢٦٦]

تأمل كيف فنّ الشاعر صناعة الشعر موسّعًا أفقه ودائرته، وجعلها أريب أفقا وأوسع مجالا مما يتصوره البعض حيث شبهها بالمملكة من حيث السعة من جهة، ومن حيث إنها مكان بالغ الحرمة لا يتوغل فيه ضعاف العقول ومن المعلوم لابد للمملكة من زعيم يرأسها، أو سلطان يأمرها، أو أمير يحكمها، ورئيس هذه المملكة العريضة التي تفوق شاعر مغلق فإذ كان الشاعر ترك القارئ يتخيل مدى فساحة المملكة ومع ما بها من رياض وزهور وحرمة، فلا بدّ إذا والحالة هذه أن يقتنع أن الشعر العربي ميدان لخراص الناس، لا يمتلك ناصيته الأراذل ولا عامة الناس، ثم انظر كيف شأن هذا السلطان لتلك المملكة في قصره وضواحيه من الحوشي والخدم ما لا يعد، استطاع الشعر أن يعبر عن أحاسيسه بهذا الفن الخلابة لأنه يستمد قواه البلاغية، وعبّر عن شعوره تجاه الممدوح بأجمل فنّ تتمثل في المخيلة، إذ أشرك وشكلها، والعواطف في جوهرها، من صميم العمل البلاغي والصناعة الفنية.

---

[٢٦٥] الصابوني، محمد علي. ١٣٩٦هـ. *صفوة التفاسير*. ج١. ط٩. دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع. ص٥٣٠.

[٢٦٦] ألبي، عيسى أبو بكر. ٢٠٠٤م. *الرياض*. ص٢٣.

كذلك صنع الشاعر في البيتين التاليين الآخرين حيث شبّه الشعر بالباب المغلق، كل يحاول ويطمح طامعا في الدخول والباب أمامهم مسدود ومصدود، وجاء صاحب المفتاح ففتحه باليسر، وتمكن الجميع من الولوج، ولولاه داموا حائرين متوقفين أو يائسين خارج الباب دون تحقيق مرادهم، وقضاء مأربهم، ثم صوّر الشعر كرّة أخرى وشبّهه بإنسان مسجون مغلول اليدين والرجلين أسيرا في قعر مظلم آملا أنه استجابه لدعائه العريض، وأصدر أمره فورا بتحريره وإطلاقه، وأصبح يطير بجناحيه ويمشي بقدميه إلى حيث تهديه ساقه وطابت نفسه... تصوير في قمة الروعة والرونق، يا له من إبداع.

وخلاصة القول أن عدم ذكر الأداة وحذف الوجه معًا يوسّع الأفق ويجعل المجال أرحب أمام المتلقي، وهو بهذا يمكنه الإتيان بعدة أوجه الشبه في مثل هذه الصور تبعا لإدراكه وذوقة الأدبي والبلاغي.

وعلى جناح السرعة يطير الباحث مع القارئ ظنًّا من أو ثقة كبيرة أنه في نهمة شديدية إلى المزيد ليرتشق من هذا المعين الصافي، وإليك هذا البيان الرائع:

إِنّ السِّيَـاسَةَ شِطْرِيخٌ تُزَوالِـهُ أَيْـدِي الـرِّجَالِ بِنَـادِيهِمْ بِإِتقان[٢٦٧]

وقد شبه شاعرنا ألبي سياسة هذه الديار، ما أورعه وما أبدعه شاعرا عبقريا! شبّه السياسة بالشطريح (اللغة المشهورة) نزوله أيدي رجال الدولة، ثم انظر إلى دقته اللغوية حيث قال: "بناديهم بإتقان" عبّر عن البرهان بالنادي، وما أدرك ما النادي؟ مكان يجتمع فيه عدد من الناس للهو والسياحة للأطعمة والأشربة والأنكحة، وضرب الشفة العليا بالسفلى، أو ليس كذلك أمرهم!! السياسة (مشبه)، والشطريخ (مشبه به) ووجه الشبه محذوف وهو مبعثر في عدم مبالاتهم بها، واستخفافهم بشؤون الرعية، و. و. و...، ازداد هذا التعبير جودة وإشراقة لبنائه على التشبيه البليغ، ولو أنه ذكر الأداة ووجه الشبه

[٢٦٧] ألبي، عيسى أبو بكر. ٢٠٠٤م. *الرياض*. ص٢٣. ص٣٧.

لذهب بهاء الصور ونضارها، ولكان أقر خطرا ووقوعا في القلب، وتأثيرا في النفس، والغرض من التشبيه التأثير!

المطلب الثالث: فن التشبيه باعتبار الأداة التشبيه

هي اللفظ الذي يدل على التشبيه، ويربط المشبه بالمشبه به، قد تكون حرفا أو فعلا أو اسما، وقد تذكر وتحذف، نحو: "كان عمر في رعيته كالميزان في العدل، وكان فيهم كالوالد في الرحمة والعطف"[٢٦٨] وبعبارة أدق الأداة: هي الرابطة التي تربط بين الطرفين وتوحي بأن الفرع (المشبه) دون الأصل (المشبه به)[٢٦٩].

وبناء على هذا، تتفرع الفن التشبيهية بالنسبة إلى ذكر الأداة وحذفها في موضعين، ألا وهما:

(أ) التشبيه المرسل: وهو عبارة عن التشبيه الذي ذكر فيها الأداة.

(ب) التشبيه المؤكد: وهو ما حذف منه الأداة (عكس الأول).

سبق ذكر أن هذه الأداة تكون حرفا وقد تأتي فعلا أو اسما في بعض الأحايين، ووأكثر الحروف ورودا في إطار كلام العرب في دستورة الحكم: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾[٢٧٠] ونحو قول الإمام البوصيري:

وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى حُبِّ الرَّضَاعِ وَإِنْ تفطمْهُ يَنْفَطِمِ[٢٧١]

---

[٢٦٨] الهاشمي، السيد أحمد. ٢٠١٧م. *جواهر البلاغة*. دار العلم والمعرفة للنشر والتوزيع. ص٢٤٥-٢٤٦.

[٢٦٩] الصابون، محمد علي. ٢٠٠٦م. *الإبداع البياني في القرآن العظيم*. ط١. صيدا – بيروت: المكتبة العصرية. ص١١٦.

[٢٧٠] القرآن. النور٢٤: ٣٩.

[٢٧١] عباس، فضل حسن. ٢٠٠٩م. *البلاغة فنونها وأفنانها*. ط١٢. دار النفاس. ص١٠٢.

وكذلك "كأن" إلا أن بعض العلماء يرى أنها مركبة من كلمتين (الكاف وإنّ) الدالة على التأكيد، ولكن الكاف جخلت على إن ففتحت همزتها. ومن هنا تدرك أ، "كأن" أدل على التأكيد الكلام من الكاف وحدها؛ ولهذا جاءت في القرآن المواطن التي تقتضي توكيد الكلام وتثبيته في النفوس، قال تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾[٢٧٢] وقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ ﴿تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾[٢٧٣]

ويقول البوصيري أيضا:

كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ الخَيْلِ نَبْتُ ربي مِنْ شِدَةِ الْحَزْمِ لاَ مِنْ شِدَةِ الْحَزْمِ[٢٧٤]

ومن أمثلة التشبيه المرسل في "ديوان الرياض" ما يلي:

قوله:

إِنِّـي أُغَـرِّدُ كَالْبَلاَبِـلِ مُعْجَبًا فِي أَلْمِحْ الْإِيحَـاءِ وَالْإِخْبَـارِ[٢٧٥]

وقوله:

وَإِذَا بَـدَأْتَ قِـرَاءَةً فَكَأَنَّهَا صَوْتٌ مِنْ الْـمِزْمَارِ سَـاعَـةَ تَصْدُرُ[٢٧٦]

وفي موضع آخر:

---

[٢٧٢] القرآن. القمر٥٤: ٧.

[٢٧٣] القرآن. القمر٥٤: ١٩-٢٠.

[٢٧٤] عتيق، عبد العزيز. ١٩٨٥م. *علم البيان*. المرجع السابق. ٨٠-٨١.

[٢٧٥] ألبي، عيسى أبو بكر. ٢٠٠٥. *ديوان الرياض*. ط١. مطبعة ألبي. ص٤١.

[٢٧٦] ألبي، عيسى أبو بكر. ٢٠٠٥. *ديوان الرياض*. ط١. مطبعة ألبي. ص٤٩.

أَقَــرُّ يُجْتَبى اتِقَـدِي اِتِّقَــادَ النَّارِ وَتَـــدْفَقِي كَتَـدَفُـــقِ الْأَنْـهَارِ[٢٧٧]

وقوله:

بَــرَعُــوا فِي الْعُلُـومِ نَثْـرًا وَشِعْرًا وَتَـــرَاهُمْ شَـــوَامِخ الْأَطْـــوَادِ[٢٧٨]

وفي موطن آخر:

وَأُسُـــودُ قَـــــوْمُ شَيْخُنَـــا إِنْ كُنْـتَ فِيْـــهِمْ كَالسِّـخَـــالِ[٢٧٩]

وإليك بعض النماذج في "السباعيات"

يقول الشاعر ذكرى:

إِنِّي ذَكَـــرْتُكَ يَـــا أَبِي فَجَـــرْتُ دُمُـــوعِي كَالصَبِي[٢٨٠]

وقوله:

سَارُوا فَضَلُوا كَقَطْعَانٍ بِلاَ هَدَفٍ كَـأَنَّ أَفْـوَاجَهُمْ فِي رَكْـبِ شَيْطَانُ[٢٨١]

وفي قصيدة أخرى:

وَصَيَّرُوهُمْ جُبَارَى لاَ تَرَى أَحَـدًا إِلاَّ كَشَارِبِ خَمْرٍ جِـــدِّ سَكْـــرَانُ

مَـــا أَطْعَمُوهُمْ إِذَا جَاعُو لِمُحْمَدَةٍ إِلاَّ كَمَا أَطْعَـــوا أَنْعَـــامَ قُـــرْبَـانُ[٢٨٢]

---

[٢٧٧] ألبي، عيسى أبو بكر. ٢٠٠٥. *ديوان الرياض*. ط١. مطبعة ألبي.ص٤١.

[٢٧٨] ألبي، عيسى أبو بكر. ٢٠٠٥. *ديوان الرياض*. مرجع سابق. ص٤٥.

[٢٧٩] ألبي، عيسى أبو بكر. ٢٠٠٥. *ديوان الرياض*. ط١. مطبعة ألبي. ص٤٩.

[٢٨٠] ألبي، عيسى أبو بكر. السباعيات. مرجع سابق. ص٣١.

[٢٨١] ألبي، عيسى أبو بكر. السباعيات. مرجع سابق. ص٣٧.

وقال أيضا:

وَإِنَّ الْحُـزْنَ كَالَّلـيْلِ الْـــ ـــــبَهِيمِ نَـــرَاهُ قَـــدْ وَقَبَـا[٢٨٣]

ودونك أيها القارئ البلاغي بعض أمثلة التشبيه المؤكد، يقول الشاعر في الرياض:

إِنَّمَا الْجَهْلُ وَهُـوَ قَبْلَ قُـدُومِ الْـ ـمَوْتِ مَـوْتُ فَـجَـانِبُـوا آلاَمَا

استمع إليه أيضا:

أَصْبَحُوا الْمَاءَ إِنْ بَـدَا النَّاسُ نَـارًا إِنَّـمَا الْمَـاءِ لِلسَّعِيـرِ قُبُـورُ

وقال:

مَاذَا يُعَدُّ أُولُوا الْكَلاَمِ لَدَى الْوَغَى فِي الحَرْبِ هُمْ جَسَدٌ بِغَيْرِ حِـوَاسِ[٢٨٤]

وإليك طائفة من التصوري بالتشبيه المؤكد في السباعيات يقول في قصيدة:

أَدَبُ النِّسَـاءِ قِـلاَدَةٌ أَغْـلَى مِنْ زِينَـةِ نُحْلِي بِـهَا الصَدرَا[٢٨٥]

ولله دره حيث ينشد:

رَأَيْتُ أُمِي وَهْيَ رَمْزُ الْحَنَـانِ فَكَانَ يَوْمَا مَفْعَمَا بِالْأَمَـانِ

وَكَيْفَ أَنْسَى الْأُمَّ وَهْـيَ الَّتِي رِضَاؤهَا مِفْتَاحُ بَابُ الْجِنَانِ

أُمِّي لِمَـاذَا لاَ تَكُونِيـنَ فِي قَلْبِي وَأَنْتَ دُرَّةٌ لاَ تُهَـانِ[٢٨٦]

وقوله في وصف القمر:

سَتَبْقَى مِلْهَمُ الشُّعَرَاءِ دَوْمًا لِأَنَّكَ عِنْدَ مَوْهُوبِ سَمِيرُ[٢٨٧]

---

[٢٨٢] ألبي، عيسى أبو بكر. السباعيات. مرجع سابق. ص٤٢.

[٢٨٣] ألبي، عيسى أبو بكر. السباعيات. مرجع سابق. ص٤٧.

[٢٨٤] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق.١٠٣-١١١.

[٢٨٥] ألبي، عيسى أبو بكر. السباعيات. المرجع السابق. ص ١٢٥-١١٦.

[٢٨٦] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق. ص١٣٥-١١٧.

المطلب الرابع: فن التشبيه باعتبار الوجه

وبه الشبه في الإصطلاح البلاغي: هو ما يؤمئ بما أخذ، وشارك الفرع الأصل فيه، وبعبارة أخرى: هو المعنى الذي يلحظه أو يلفظه المتكلم للجمع بين المشبه والمشبه به، كالشجاعة التي لوحظت بين حمزة والأسد "حمزة أسد الله وأسد رسوله"، والصرامة التي لوحظت بين خالد والسيف "خالد سيف من سيوف الله"، والوضاءة التي لوحظت بين سعاد وبين الشمس، وينبغي أن يكون وجه الشبه في المشبه به أقوى منه في المشبه، حتى يضح التشبيه.

والصور التشبيهية تتفرع إلى ضربين بالنسبة للوجه، ألا وهما:

(أ) التشبيه المجمل: وهو ما حذف منه وجه الشبه.

(ب) التشبيه المفصل: وهو عكس الأول، ما ذكر فيه وجه الشبه[٢٨٨].

هذا، ولقد وقع شاعرنا باب الضربين في كلا الديوانين، وأتى فيهما ما يروق ويعجب، أما أمثلة الضرب الأول (التشبيه المجمل) في "الرياض" فكالآتية:

قوله أولا:

وَإِذَا بَدَأْتْ أَسْنَانُهُمْ فِي مَحْفَلٍ فَتَكَسَرُوا كَتَكَسُرِ الْأَشْبَـالِ[٢٨٩]

وقوله أيضا:

قَوْلُوا لَهُمْ إِنَّ الْحَيَاءَ هُوَ الْحَيَاةُ بِدُونِهِ ثَوْبُ الْكَرَامةِ يُخْلَعُ[٢٩٠]

---

[٢٨٧] ألبي، عيسى أبو بكر. السباعيات. المرجع السابق.١٦٨-١٣١.

[٢٨٨] المراغي، أحمد مصطفى. ١٤٣٠هـ. *علوم البلاغة*. بيروت: المكتبة العصرية ص٢١٠.

[٢٨٩] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق١٥١.

[٢٩٠] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق١٧١.

وقال:

وَإِذَا نَطَقَتْ فَكُنْتَ أَرْوَعُ نَاطِقٍ وَإِذَا شَعِرَتْ فَإِنَّنِي كَحَمَائِمِ[٢٩١]

ويقول في وصف القرآن:

بَحْرُ خَضْمٍ نَحْنُ نُسَبِحُ فِي مَعَا نِيهِ وَنَجْمُ لاَ يَـرُومُ أُفُـــوَلًا[٢٩٢]

ودونك بعض النماذج في السباعيات، يقول:

حَدِيثُكَ أَنَّـــهُ مَلَكٌ مَغْدًى سَيَبْقَى لَفْظَةٌ مِنْ دُونِ مَعْنَى[٢٩٣]

وناهيك في هذا الصدد قوله:

(لِمَسَاتُكُمْ) عَذَّتْ عُقُولَ رِجَالِنَا كَانَتْ لِوَفْرَةِعِلْمِكُمْ عُنْوَانَا

يَا شَيْخُ فَاضِلُ أَنْتَ فِيهَا فَارِسٌ عَرَفَ الْبَيَانَ وَقَدَّمَ الْبُرْهَانَا[٢٩٤]

ومن أورع ما قال هذا البيت:

مَا بَالُ أفريقيًا تُمْنَى بِأَضْرَارِ كَأَنَّهَا مِرْجَلُ يَغْلِي عَلَى النَّارِ؟[٢٩٥]

وليقف القارئ العزيز مع الباحث على بيتين فقط حيث كلهيما تحليلا بلاغيا مستنبطا منهما النكتة البيانية الكامنة وراء حذف الوجه في تلك المواضع المشار إليها، استمع إلى هذا:

فَأَرَوْا الْأَعَادِي أَنَّكُمْ حَرْبٌ عَلَى مَنْ لاَ يُكَـــرِّمُ دِيـــنَكُمْ وِسَهَـامُ[٢٩٦]

---

[٢٩١] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق١٧٤.

[٢٩٢] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق١٨٢.

[٢٩٣] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق١٥٦.

[٢٩٤] ألبي، عيسى أبو بكر. السباعيات. المرجع السابق.١٢٧.

[٢٩٥] ألبي، عيسى أبو بكر. *السباعيات*. المرجع السابق١٣١.

[٢٩٦] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق١٤١.

فالمشبه في البيت ضمير "كم" والمشبه به حرب وسهام، ولم يذكر وجه الشبه تاركا الفرصة والمجال للمتلي حتى يشارك الشاعر في إعمال فكرة وإظهار عطائه البلاغي في فهم النصوص الأدبية الأسرة للألباب، والوجه في هذا التصوير يجسد في معان عميقة المدن، عديدة العدّ، منها: الشدة والإبادة والصرامة وعدم قبول الخف والهوادة، وما إلى ذلك وفي بعث الرعب لقلوب العدى، ما أحسن لو أن أمتنا تيقظت وعملت بهذا البيت الوحيد، أتراهم يذاقون كأس المذلة والإهانة في كل صقع من أصقاع الأرض كما هي الحال في عصرنا الراهن؟.

أما قول الشاعر:

حَدِيثُكَ أَنَّـهُ مَلَكُ مَغْدًى سَيَبْقَى لَفْظَةُ مِنْ دُونِ مَعْنَى[٢٩٧]

فإنك لتشعر بمتعة بديعة ولذة لذيذة تملأ الأذن والقلب معا عند واءتك لهذا البيت، شبّه الصب (المحب) باللفظة – فهل تنفع بدون معنى؟ وكنى عن محبوبته بالمعنى (مشبها به) الذي يهب اللفظ حقيقة الحياة، ولم يذكر معه وجه الشبه الذي يتمثل في عدم الإفادة ليتع مجال التفكير، وعصر الذهن، وجهد النفس لاستدراك المرمى واستنباط المغزى، ولله دره شاعرا.

المبحث الثاني: فن التشبيه باعتبار طرفية

يتناول الباحث في هذا المبحث فن التشبيه باعتبار طرفيه في بعض الأبيات الشعرية في ديواني الرياض السباعيات للشاعر عيسى ألبي، وذلك من خلال ثلاثة المطالب كما يلي:-

المطلب الأول: فن من التشبيهات الحسية والعقلية من المقطوع به أن طرفي التشبيه في كلام العرب قد يكونان مما يدرك بإحدى الحواس الخمسة الظاهرة أي: ما يدرك بالبصر من ألوان وأشكال وحركات، وما

[٢٩٧] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق١٥٦.

يدرك بالسمع من أصوات، وما يدرك بالذوق من حلو ومر. أو ما يدرك بحاسة اللمس من حرارة وبرودة، ورطوبة ويبوسة، شونة وليونة وما إلى ذلك، أو ما يدرك بحاسة الشم من أنواع الطيب، فالتشبيه بإحدى هذه الأشياء يسمى حسيًّا، وقد يكون الطرفان كلاهما حسيين.

وعلى عكس الحس قد يرد طرفا التشبيه مما يدرك بالعقل مما يتعلق بالأمور الوجدانية التي تدرك النفس كيفياتها، كاللذة والألم، والحب والبغض، والطمأنية والوخف، كتشبيه الإيمان بالحياة، والكفر بالموت، فهذا النوع من التشبيه يقال له: "عقلى". ويلحق به ضرب آخر اصطلح عليه بالتشبيه الوهمي: وهو الذي لا وجود له في الخارج، ولو وجد لأدرك بالحواش مثل تشبيه أسنان الحربة بأنياب الأغوال، وهي ما لا وجود له في الخارج، فالغول ما كان يتوهمه العرب، وقد تكثر في أشعارهم، يقول امرؤ القيس:

أَيَقْتُلُنِي وَالْمَشْرَفِيِّ مَضَاجِعِي وَمَسْنَونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ[٢٩٨]

وصفوة القول أن الفنون التشبيهية باعتبار طرفها قد تكون حسية أو عقلية، وقد تكون مختلفة وهي التي اختلف فيها المشبه عن المشبه به حسًّا وعقلًا، قد يكون أحدهما مما يدرك بالحس والآخر يدرك بالعقل وبالعكس، وآية ذلك قول أبي العلاء المعري:

وَكَالنَّارِ الْحَيَاةِ فَمَنْ رَمَادٍ أَوَاخِرُهَا وَأَوَّلُهَا دُخَانُ

وفي الملاحظ إلى ديواني الشاعر ليلمس بأيديه على ملامح هذه الأنواع من الفنون التشبيهية الواردة فيهما، أما الأمثلة للحسيات في "الرياض" فكالآتية:

---

[٢٩٨] امرئ القيس، بن حجر بن الحارث الكندي. ٢٠٠٩م. *ديوان امرئ القيس*. تحقيق: درويش الجويدي. المكتبة العصرية صيدا: بيروت. ص٢٥٥.

يقول الشاعر يصف كتاب "المأدبة الأدبية" للأستاذ زكريا بجامعة إلورن:

إِنِّي تَصَفَحْتُ ٱلْكِتَـــابَ فَكَـــانَ حُلُّـــوًا كَالضَّرْبِ

كَالـــرَّوْضِ تَكْنَفُهُ الْوِرْو دُ وَفِيهِ أَطْيَـــارُ الطَّـــرْبِ

كَالْعَطْرِ لاَ يَـــدْرِي الْجُدُو دَ وَلَيْسَ يَمْنَـــعُ مِنْ غَضَبِ[٢٩٩]

ومن أورع الشواهد قوله:

وَصَوْتِهَا اللَّذُ فِي أَفْوَاهِنَا شَهْدُ تَمْجُّ فِي سَمْعِهَا الْأَوْتَارِ وَالنَّغَمِ

وقوله في وصف المنية:

عَجَبًا لَهَا تَعْدَدِ الْمَشِيبُ قَـــدْ وَنِى يَرْجُـو الفَنَاءَ وَتَشْتَهِي الشَّبَابَا

مِثْلَ الذُّبُـولِ يُصِيبُ أَخْضَرَ زَهْرَةً تَسِبِّي الْعُيُّونِ وَيَهْجَـرُ الْعِيَدَانَا

كَالسَّيْلِ يَحْـرُقُ مَـا يَلْقَحُ أَرْضِنَا لِتَعِيشَ أَشْـــوَاكَ الرُّبَى أَزْمَانَا

كَالْصَّقْرِ يَفْتُكُ بِالْفَـــرَاجِ وَلَمْ تَـزَلْ رَغْبَا تُنَـــاشِـــدُ أُمُّهَا تَحْنَـانَا[٣٠٠]

وفي "السباعيات" يطرفنا الشاعر بقوله:

قَتَـلْتُـــمُ نُفُـــوْسَا بِـــلاَ رَادَعٍ وَلاَ ضَابِـــطٍ مِثْلَ خَيْلِ جُمُوعِ[٣٠١]

وفي موطن آخر:

(بِلاَتُـــو) غَلَّتْ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ كَـــأَنَّهَا الْمِقْـلاَةُ فَـوْقَ النَّارِ

قَـدْ أَصْبَحْتُ مَنْطِقَةُ الْإِعْصَـــارِ يَذْبَـحُ فِيهَا النَّاسُ كَالْأَبْـقَارِ[٣٠٢]

---

[٢٩٩] ألبي، عيسى أبو بكر. الرياض. مرجع سابق. ص١٥٩-١١٤.

[٣٠٠] المرجع نفسه. ص١٥٠.

[٣٠١] ألبي، عيسى أبو بكر. *السباعيات*. المرجع السابق. ص٦٤.

[٣٠٢] ألبي، عيسى أبو بكر. الرياض. المرجع السابق. ص١٥٩-١١٤.

وإليك شواهد التشبيه العقلءي في "**الرياض**" يقول الشاعر:

الْعِلْمُ نُــورٌ وَالْجَهَالَــةُ ظُلْمَــةٌ إِنَّ الْجَهَــالَةَ أَصْـلُ كُلُّ وَبَالِ

وفي موضع آخر:

قُولُــواْ لَـهُـمْ إِنَّ الْـحَيَـاءَ الْحَيَــا ةُ بِـدُوْنِـهِ ثَوْبُ الْكَرَامَةِ يُخْلَعُ

وفي مكان آخر:

وَالْعِلْمُ مِثْــلَ الْجَهْـلِ إِنْ مَلَكْـتَهُ حَبْلُ الْهَوَى أَفْضَى إِلَى الْإِخْفَاقِ[٣٠٣]

وفي "السباعيات" يشتد الشاعر قائلا:

أَمْنِيَــتِي أَنْتَ عَمْــرِي وَالْحَـيُّ دُوْنَــكَ مَيِّـتُ

وفي مكان آخر وهو يخاطب القلب:

سُـرُورُكَ رَاحَــةُ الْإِنْسَا نِ حُـزْنَكَ يَجْتَنِي وَصَبًا

وفي قوله وصف الحياة:

سِيَّــانُ خَيْـرُهُمْ وَشَــ ــــرُّهُمْ إِذَا فُطِنَ نَظَرَ

ولله دره حيث يقول:

إِنَّ التَّنَسُكَ بِالْجَهَالَةِ فِتْنَـةُ وَالْعِلْمُ مِنْ دُوْنِ الْصَّلاَحَ بَلاَءُ[٣٠٤]

لم يبق الآن أن سيوق الباحث بعض النماذج من ديواني الشاعر لصور التشبيه من حيث كان طرفا التشبيه مختلفين حسيًّا وعقليًّا، وأغلب ما يكون المشبه عقليًّا والمشبه به حسيًّا فيقرب العقلي

[٣٠٣] ألبي، عيسى أبو بكر. الرياض. المرجع السابق.ص٩٣-١٩٨.

[٣٠٤] ألبي، عيسى أبو بكر. *السباعيات*. المرجع السابق. ص٩٢-٥٤.

بالحسي، ويوضح ما يرمز إليه عقلا بشواهد حسيّة التي تدرك بالسهولة، وتارة يكون العكس لكن قليل ما هو.

اصغ إلى الشاعر يقول في "رياضه":

وَالْعَقْلُ فِي هَـــدْيِ الْعِبَادِ فَرِيضَـةٌ وَالْعِلْمُ فِي صُنْـعِ الــرِّجَالِ عِمَـادُ

وفي موطن آخر:

قَـدْ طَارَ ذِكْـرَكَ فِي الْمَدَائِنِ كُلُّهَا كَالْبَــازِ حَلّــقَ فِي عَنَـانِ السَّمَاءِ

وقوله أيضا:

قَسَـا كَالْحِجَـارَةِ قَلْبُ الْــوَرَى وَلَمْ يَتأثر بِنَـــــاءَ وَمَـــاءَ

وقوله:

آَثَـــارُ آدم فِي الْمَمَاتِ حَيَـاتُــهُ هِيَ بَعْــدَ مَا يَــأْتِي الْفَنَاءِ بَوَاقِى

ويقول أيضا:

لاَ تُـــزجِرِينِي إِنْ لِي فِكْـرًا كَالطَّيْرِ تَطْــرُدُ سَاعَــةَ الْصَّحْبِ

وقوله مرّة أخرى:

وَلَـــهُمْ هِـمَـــةُ تَطِيـرُ كَبَازِ صَافِحِ الْجَـــوِّ لَيْسَ كَالْخَفَّاسِ[٣٠٥]

وفي "السباعيات" ورد قوله:

إِنَّ الْحَيَـــــاةَ مُطِيَّـــــةُ وَيَقُـــودُهَا مَـــنْ قَـــدْ صَبَرَ

وقوله:

[٣٠٥] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق.ص١١٨-٢٠٧.

بَنَـــاتُ الْفِكْـــرِ أَشْعَارِي تَسِيـــلُ بِـــــدُونِ أَكْـدَارِ

وناهيك هذا البيت في وصف "**غانا**":

وَصَفُـوًا طَبِيعَتِكَ لِجَمِيلَةِ أَنَّهَا سِحْرُ يُـزِيـلُ نُفُـوذُهُ أَحْزَانًا

ثم استمع إليه وهو يقول:

شِعْرُ وَمَعْنَـاهُ كَنَجْـمِ السَّمَا غَـطَّاهُ غَيْـمُ سَـادِلُ سَاتِرُ

ويقول في الحب:

اَلْحُبُّ نَـارُ خَبَوَّهَا صَعْبُ يَحِسُهَا كُـلَّ لَـحْظَةٍ قَـلْبِ

اَلْحُبُّ دَاءُ يُـدِيـمُهُ بِنَـظَرِ كَذَا الْحَدِيثِ الْجَمِيلِ وَالْقُرْبِ[٣٠٦]

وسيأتي التحليل البلاغي لبعض النماذج المختارة، سبق القول في الجولة الأولى أن الجنس الأول من أجناس هذا الفنّ هو ما كان فيه المشبه والمشبّه به (طرفا التشبيه) مما يدرك بإحدى الحواس ضاربا الأمثلة ببعض الأبيات في كلا الديوانين، استمع مرّة أخرى إلى الأبيات الآتية:

إِنِّي تَصَفَحْتُ الْكِتَـــابَ فَكَـــانَ حُلُّـــوًا كَالضَّرْبِ

كَالـــرَّوْضِ تَكْنَفُهُ الْوِرْ دُ وَفِيهِ أَطْيَـــارُ الطَّـــرْبِ

كَالْعَطْرِ لاَ يَـــدْرِي الْجُدُو دَ وَلَيْسَ يَمْنَـــعُ مِنْ غَضَبِ[٣٠٧]

يحسب القارئ هذا النموذج وحده في "الرياض" ليكشف الغطاء وسلط الأضواء على هذه الظاهرة البلاغية، فإنك تجد الشاعر شبّه الكتاب أوّلا بالضرب في الحلاوة، والكتاب محسوس يدرك بالبصر واللمس معا، في حين يدرك الضرب بحاسة الذوق، وكلاهما حسيان، وكذلك صنع في البيت

[٣٠٦] ألبي، عيسى أبو بكر. *السباعيات*. المرجع السابق. ص١٨٧-١٥٩.

[٣٠٧] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق. ص١٥٩-١١٤.

الثاني حيث شبّه الكتاب بالروض الوسيم يتكاثر ورود الناس فيه، كذلك يرغب في الارتشاق من هذا المعين المعنوي (المأدبة الأدبية) عشا العلم وطلبة المعرفة من شتى أنحاء العالم، وكلٌّ من "الكتاب والروض" محسوس بالبصر، وأبداع الشاعر وأغرب في البيت الثالث والأخير حيث شبّه الكتاب بالعطر الذي يدرك بحاسة الشم، لكن في أي وجه؟ هل للكتاب ريح أو طيب حقيقة؛ لا، من حيث تعميم الفائدة، وشمولية النفع، ينتفع بالكتاب كل من الصديق والعدو، والمخلص والمنافق، كما يتمثل بطيب العطر الراغب فيه والرغب عنه، وفحوى الكلام أن طرفي التشبيه في هذه الأمثلة المسرودة وردا محسوسين، وفّق الشاعر أيما توفيق في توظيف كل موقعه الملائم.

يفهم الباحث أن هذا النوع الثاني الذي هو أن يأتي طرفا التشبيه عقليين في إطار الكلام على سنن العرب حيث يدركان بالعقل، ولقد صنع الشاعر أعاحيب من هذا القبيل وإن لم يكن مبدعا في جميع المواطن وسبق إليها بمئات أبيات شعرية جيّدة، ناهيك هنا قوله:

وَالْعِلْمُ مِثْـلَ الْجَهْـلِ إِنْ مَلَكْـتَهُ حَبْلُ الْهَوَى أَفْضَى إِلَى الْإِخْفَاقِ[٣٠٨]

كل يعلم أن العلم والجهل مما يدركان بالعقل، وهذا ليس ببديع، بل البديع أن يشبه العلم بالجهلّ في أي وجه أيها الشاعر يبدو أن العلم والجهل شيّيين؟! إذا العلم لم يتفرق عن الجهل في عدم الهداية والإفادة والتضليل، الجهل يُضلُّ، واعتقد أ العلم أكثر منه إضلالا إذا أطاع صاحية هواه، استمع إلى قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ [٣٠٩]. سبحان الله! لم يقل على جهل بل على علم! بل هم أضل. كما أن الجهل عادة يفضي إلى الإخفاق والاضطراب والبلبلة في المجتمع البشرى كذلك اللعم إذا قمّص ثوب الهوى.

---

[٣٠٨] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق.ص٩٣-١٩٨.

[٣٠٩] القرآن. الجاثية٤٥: ٢٣.

ويسوق الباحث في الضرب الأخير إلى مسمع القارئ بيتا في "الرياض" وآخر في "السباعيات" وهذا الضرب الأخير عبارة عن الفنون التي يختلف فيه المشبه عن المشبه به حسًّا وعقلا، وغالبا ما يكون المشبه عقليًّا والمشبه به حسيًّا، والعكس قليل الورود، يقول الشاعر "الرياض":

آثَـــارُ آدم فِي الْمَمَاتِ حَيَـاتُـــهُ هِيَ بَعْـــدَ مَا يَـــأْتِي الْفَنَاءِ بَوَاقِي[٣١٠]

واضح أن الشاعر هنا شبّه آثار العلامة الإلوري بالحياة في مطاولتها الدهر وخلودها وبقائها، لله در شوقي حيث يقول:

وَارْفَـــعْ لِنَفْسِكَ بَعْدَ مَوْتِكَ ذِكْرَهَا فَالذِّكَـــــرُ لِلْإِنْسَانِ عُمْرُ ثَـــانِ[٣١١]

ولا غرو أن هذه الآثار المشار إليها حسية منها على سبيل المثال: مركزه بأغيغي، جامعة في المركز، مؤلفاته العديد، خطبة المنبرية، مواعظه، أبناؤه البررة، تلاميذه العباقرة، ولا شك أن الحياة عقلية إيحاء أن تكلم الآثار هي التي تواصل حياته العريضة، وترفع ذكره وذكراه، وهي التي لا تعرف الفناء، بل تبقى مدى الدهر يتدارسها الأجيال المتعاقبون تضيئ دروبهم، وتأخذ بأيديهم نحو المثال العليا، والقيم الكبرى.

شِعْرُ وَمَعْنَـــاهُ كَنَجْمِ السَّمَا غَـــطَّاهُ غَيْـمٌ سَـــادِلٌ سَاتِرُ

ويرى الباحث أن الشاعر يصور بعدُ نظر ممدوحه ومدى خياله المخلق والمتجسد في معاني أشعاره وهي (المعاني) كالنجم المغطي بالغيم، وما أدراك ما هذا الغيم، إنه ليس مجرد غيم كسائر الغيوم، إنه لغيمٌ سادلٌ ساترٌ يجعل الجو شديد الحلك، جد الظلمة، هنا المعنى (مشبه) وهو عقلي، ونجم السماء

---

[٣١٠] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق.ص٢٠٧.

[٣١١] شوقي، أمير الشعراء أحمد شوقي. ٢٠٠٩م. *ديوان امير الشعراء أحمد شوقي*. ط١. ج٢. المكتبة العصرية: صيدا: بيروت. ص٥٠٣.

(مشبه به) وهو حسي، يصور الشعر عبقرية الممدوح الشعرية وأن مستوى شعره عال جدًّا، وبحر خياله عميق لا يسيح في غوره إلاّ الماهر، أخذ من النجم علائه ورفعته، ومن الغيم غموضه ورصانته.

المطلب الثاني: فن من التشبيهات المفردة والمركبة

أن طرفي التشبيه قد يكونان مفردين أو معتدين أو مركبين، والأمر بالنسبة للتشبيه المفرد سهل التناول، يسير الإدارك كالشمس في قولك: "هي كالشمس"، أما المعتدن فأنواع منها: أ، يتعدد المشبه والمشبه به كذلك، أو أن يكون المشبه مفردا والمشبه به متعدّدًا، وبالعكس، وحرمًا على زيادة الوضوح، دونك هذا التفصيل:

(أ) فقد يكون المشبه واحدًا (مفردا) ولكن المشبه متعدد.

(ب) قد يكون المشبه متعدّدًا واحدا.

(ت) قد يكون في الكلام أكثر من تشبيه إلا أنه يؤتى بالمشبهات أوّلا ثم يؤتى بالأشياء المشبه بها ليقابل كل حد بما يناسبه.

(ث) قد يكون في الكلام أكثر من تشبيه كذلك إلا أنه يذكر مع كل مشبه المشبه به[٣١٢].

عرض نماذج التشبيه المفرد عند الشاعر في "الرياض" أوّلا، اصغ إليه وهو يقول:

وَإِذَا بَدَتْ أَسْنَانُهُمْ فِي مَحْفَلٍ فَتَكَشَّرُوا كَتَكْشِرُ الْأَشْبَالِ

وَاللَّهِ أَنْتُمْ كَالْأُسُودِ شَجَاعَةً تَخْتَالُ فِي الْغَابَاتِ وَالْأَدْغَالِ[٣١٣]

[٣١٢] فضل، حسن عباس. *البلاغة: فنونها وأفنانها*. المرجع السابق. ص٦٠.

أتى الشاعر في هذين البيتين بما اصطلح عليه البلاغيون بـ"التشبيه المفرد"، حيث شبه أسنان الممدوح بتكشر الأشبال في البيت الثاني بالأسود في الشجاعة. وهو صورة تداولتها أيدي الشعراء وقتلوها تناولا وتداولا وتنافلا ولا غرو وقد يعود تاريخ صياغة هذه القصيدة إلى أكثر من ثلاثين سنة، مدة طويلة، وفترة بعيد، وكم من التجارب الشعرية اكتبها الشاعر الستزادا وتوسيعا لدارئرة أخيلة بعد تلكم الأشواط المترامية؛

أما التشبيه المركب: فعبارة عن الصور المتكاملة المتماسكة؛ غير القابلة لتجرأة أو انقسام، وبعبارة أخرى: مقابلة صورة بصورة أخرى. ومن أمثلة ذلك قول ابن المعتر:

كَأَنَّـــهُ وَكَـــأَنَّ الْكَـــأْسِ فَمُهُ هِلاَلُ أَوَلُ شَهْرِ غَـــابَ فِي شَفَقِ[٣١٤]

فالشاعر يريد أن يشبه الكأس – وقد غاب جزء منها بين شفتي شاربها – بصورة الهلال الذي غاب في الشفق، حاول أن تفرق أجزاء هذا التشبيه تجد أنه لا معنى لتشبيه الكأس بالهلال، والشفة بالشفق لأن ذلك غير مستقيم، وتفسد به الصور التي أرادها الشاعر. أضف إلى ذلك ولبشار حيث يقول:

كَـأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافَنَـــا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ[٣١٥]

فالشاعر في هذا البيت أراد أن يشبه ساحة الوغى، وما فيها من غبار كثيف، والأسياف ذات اللمعان والبريق، وهي تتساقط في هذا الغبار الكثيف، يشبه هذه الصور بالليل المظلم الذب تتهاوى فيه

---

[٣١٣] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق. ص١٦٧.

[٣١٤] فضل، حسن عباس. *البلاغة: فنونها وأفنانها*. المرجع السابق. ص٦٢.

[٣١٥] فضل، حسن عباس. *البلاغة: فنونها وأفنانها*. المرجع السابق. ص٧٥.

الكواكب، فلو حاول أحد بتر جزء من الصور الأولى أو من الثانية لاختل التوازن واختل معه وجه الشبه الجامع بين الفنونتين، وذهب جمال الصور، ورونقها وبهؤها.

وعلى رغم من ذلك، يلاحظ في قصيدة عيسى ألبي أن هناك أبياتا كثيرة جرى فيها الصور التشبيهية المكنونة في ديوانا (الرياض والسباعيات)، ويورد هنا الباحث بعض هذه الملامح من الصور التشبيهية المكنونة فيهما، أما "الرياض" فها هو القول:

وَسُعَـالُ دَوِيَـةٌ يُحْـدُثُ الرَعْـ ـبَ كَـرَعْدِ بِـدُونِ مَاءٍ هَتُونُ

وَدُمُـوعُ مَـرِيـرَةُ تَـمْلَأُ الْعَيْـ ـنَ كَأَنَّ الْجُرُوحَ تَحْتَ الجُفُونِ[٣١٦]

وفي وصف الشيخوخة قال:

صِـرْتَ كَالشَّمْسِ فِي سَمَاءِ حَيَاتِي هِـيَ تَمْضِي إِلَى مَكَـانِ الْمَغِيبِ[٣١٧]

ويقول في وصف اللغة العربية:

هِيَ نَهْـرُ بِـصَفَيْتِـهِ أَفَـانِيـ ـنِ زُهُـورُ بِالْحُسْنِ تَـأْسُرُ لُبِـا

ثم استمع إليه حيث يقول:

أَرِاضِيكُـمْ كَـانَتْ هَـادِ حَضَارَةَ فَصَارَتْ بِهَذَي الْحَرْبُ لَحْدِّ هَوَانُ

وما أورع قوله في هذه الأبيات:

بِـلاَدُنَـا نَـاقَـةُ مُبَـارَكَـةُ لَـهَـا فِصَـالُ لَـذِيذُ الْحَلَبِ

لَـكِنَّـهَا تَسْتَـدْرِهَـا فِئَـةُ دُوْنَ سِـوَاهَـا بِقُـوَةِ الْغَلَبِ

وَنَـحْنُ حِـلُّ نَعِيـشُ أَخِي عَيْـشُ غَرِيبِ مُشَرَّدُ وَصَبِ

[٣١٦] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق. ص١٦٨.

[٣١٧] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق. ص١٥٤.

كَحُـــوتِ بَحْرُ رُمَاهُ فِي الْيَبِسَ الْـ ـحَظِ فَأَضْحَى يَعِيشُ فِي نَصَبِ[٣١٨]

ولله دره حيث يقول:

كُلُّ مَـــنْ قَـــامَ طَامِعًـا لِمَـدَاهُ يَشْرَبُ الْمَاءَ مِنْ بُحُورِ السَّرَابِ[٣١٩]

وإليك – سيادة القارئ – أمثلة هذه الصور التشبيهية في ديوانه الثاني "السباعيات"، اصغ إليه وهو يقول:

إِنَّ جُنْـــدِيًّا حَقِيـــرًا عِنْـــــدَنَا يَـــزِنُ الْآلَافِ مِنْ بَيْنَ الْبَشَرِ

وقال واصفا الرجولة:

وَالْمَجْـــدُ خَيْـلُ الْحِـــرَانِ يَـرْكَبُهَا مُـــرَوَّضُ لاَ يُـخِيـــفُهُ بَطَـلُ[٣٢٠]

وقوله:

قَبَـــلْتُمْ نُفُـــوسًا بِـــلاَ رِادَعِ وَلاَ ضَابِـطٍ مِثْلَ خَيْلِ جُمُوعِ[٣٢١]

وقوله في وصف حالة الطوراء:

(بِلاَتُـــو) غَلَّتْ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ كَـأَنَّـهَا الْمِقْـلاَةُ فَـوْقَ النَّارِ

قَـدْ أَصْبَحْتُ مَنْطِقَةُ الْإِعْصَـــارِ يَذْبَـحُ فِيهَا النَّاسُ كَالْأَبْـقَارِ[٣٢٢]

وقوله في وصف العقل:

وَوَفْـــرَةُ الْمَالِ لَـــدَى عَـاقِـــلٍ زِيَـــــادَةٌ كَالطُّلِ فِي وَبْلِهِ[٣٢٣]

---

[٣١٨] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق. ص١٦٧.

[٣١٩] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق.ص١١٨-٢٠٧.

[٣٢٠] المروض: مذلل ومطوع ومعلم السير.

[٣٢١] ألبي، عيسى أبو بكر. *السباعيات*. المرجع السابق. ص٦٤.

[٣٢٢] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. مرجع سابق. ص١٥٩-١١٤.

[٣٢٣] ألبي، عيسى أبو بكر. *السباعيات*. المرجع السابق. ص١٢٣.

وفي وصف صداع ألمّ به:

أَخْذَ الصُّدَاعُ مَجَامِعَ الرَّأْسِ فَقَضَيْتُ كَلَّ اللَّيْلِ فِيَ الْيَاسِ

وَكَأَنَّ مَطْرَقَةَ تَدُّقُ عَلَى الْـ يَـــافُوخَ ذَاكَ نِهَـــايَةُ الْبَاسِ[٣٢٤]

ثم أضف إليها قوله:

مِحْنَةُ الْأَخْيَارِ لاَ تُضَعِفَهُمْ كَجَبِيْنِ التِّبْرِ يَجْلُو بِالصِّلاَءِ[٣٢٥]

ينفتح أمامنا الآن باب تحليل بعض النماذج المسوقة آنفا، لكن قبل ذلك يحاول الباحث أن يستقر في الذهن أن طرفي التشبيه (المشبه والمشبه به) قد يكونان كلاهما مركبين، وقد يكون أحدهما مركبا والآخر مفردا، وإذا انتضح ذلك جليًّا فاقرأ معي قوله في ذكرى الإلوري ومديحه:

كُلُّ مَـــنْ قَـــامَ طَامِعًـــا لِمَـــدَاهُ يَشْرَبُ الْمَاءَ مِنْ بُحُورِ السَّرَابِ[٣٢٦]

فإن الشاعر هنا شبّه الذي يحاول أن يبلغ مرتبة ممدوحة ويلحق شأوة في غزارة شأوه علمه وكثافة آثاره مثله كمثل الظمآن الذي يبحث عن املاء في الأرض القفر يتراء السراب أمامه بحرا طاميا، إذا كل جزء في هذه الصور مركب، فهل يمكنك أ تفصل بين جزأيها، أيسع أن تقول: "كل من قام كشارب الماء؟" والطامع لملاه كبحور السراب؟ لا! ثم ألف كلا! هذا لا يأتي بمعنى يستفاد، أو مغزى سيتزاد، وبالاختصار أراد الشاعر أن يثبت أن "الطامع في إدراك مدى العلامة الإلوري" مشبّها، كـ"شارب الماء من بحور السراب" مشبّها به.

ثم أعد قراءة الأبيات التالية لتزداد حلاوة ومتعة:

بِـلاَدُنَـــا نَـــاقَـــةٌ مُبَـــارَكَـــةٌ لَـهَـــا فِصَـــالُ لَـذِيذُ الْحَلَبِ

---

[٣٢٤] اليافوخ: الموضوع الذي يتحرك من رأس الطفل، والمراد هنا: الرأس كله.

[٣٢٥] ألبي، عيسى أبو بكر. *السباعيات*. المرجع السابق.ص١٨٧-١٥٩.

[٣٢٦] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق.ص١١٨-٢٠٧.

لَـكِنَّـهَا تَسْتَـــدْرِهَـــا فِئَـــةٌ دُوْنَ سِـــوَاهَـــا بِقُـــوَةِ الْغَلَبِ

وَنَـــحْنُ حِـــلُّ نَعِيـــشُ أَخِي عَيْـــشُ غَرِيبٍ مُشَـرَّدُ وَصَبِ

كَحُـــوتِ بَحْرُ رُمَاهُ فِي الْيَبِسَ الْـ ـحَظِ فَأَضْحَى يَعِيشُ فِي نَصَبِ[٣٢٧]

في الأبيات تشبيهان كلاهما مركبان في البيتين الأولين شبّه بلادنا (نيجيريا) بالناقة المباركة اللذيذة الحلب وهو تشبيه المفرد بالمركب، وأشار إلى أن فئة استغلوا هذا الحلب وآثروا به أنفسكم دون غيرهم بإعمال القوة والسطرة، فهاهم وحدهم ينتفعون به، مع أنه حق للجميع وعطاء الله لكل من المواطنين، هنا شبّه رجل الدولة في أنانيتهم وإيثار النفس بهذه الصور، ثم في البيتين الأخيرين شبّه الشعب الذين يعانون من التعاسة وضنك العيش وسوء المصير بغريب مطرودٍ مشرّدٍ منقطعٍ عن الأهل وذوي القرابة أوّلا، ثم بالحوت الذي كان من ذي قبل يسكن في قعر البحر يسبح في لجنة ويأكل من رزقه رغدا ألقاه القدر المختوم إلى الأرض اليبسة فعاد رخاؤه شدّة، وانقلبت سعاته شقاء وسعته ضيقا!

ويودّ الباحث أن يتنعم القارئ مرّة أخرى بقراءة النماذج المعروضة المقتطعة من السباعيات قراءة تأملية ليعق على سما احتوت عليه من نكتات بيانية، ولذلك يسوق إليه هذا البيت دفعة أخرى:

وَوَفْـــرَةُ الْمَالِ لَـــدَى عَـــاقِـــلٍ زِيَـــادَةُ كَالطُّلِ فِي وَبْلِـهِ[٣٢٨]

يحاول الشاعر كل محاولة ليقنع القارئ ويريه عظمة نعمة العلم والعقل، ما أجلّهما نعمة، أكرم بهما عطاءا، فالإنسان المكرم المخطوط بالعقل والمال معا مثله كمثل الأرض التي بلّلها الوابل حتى ارتوت وحسن حالها وبعد ذلك بقليل نالتها يد الطلّ ليلعب دوره، فأين الطل من الوبل، فالمشبه هنا "الإنسان

[٣٢٧] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق. ص١٦٧.

[٣٢٨] ألبي، عيسى أبو بكر. *السباعيات*. المرجع السابق. ص١٢٣.

المخطوط بالعقل أوّلا ثم بالمال نافلة وزيادة"، والمشبه به "الأرض التي سقاها الوابل من الغيث أولا ثم جاد عليها الطل بعد ذلك".

وحرصا من الباحث أن يمتع ويلذّ القارئ يسدد هذين البيتين مرّة ثانية حيث يقول الشاعر:

أَخْذَ الصُّدَاعُ مَجَامِعَ الرَّأْسِ فَقَضَيْتُ كَلَّ اللَّيْلِ فِيَ الْيَاسِ

وَكَأَنَّ مَطْرَقَةَ تَدُّقُ عَلَى الْـ يَـــافُوخَ ذَاكَ نِهَـــايَةُ الْبَاسِ[٣٢٩]

في هذه القصيدة صوّر الشاعر ما ألمّ به من وجع الصداع بتغيير يتفاعل ويشارك المتلقي معه في توجّعه وشعروه السلبي تجاه هذا النوع من الأمراض حتى يظن أنه لم يكن في الدنيا أشد ألما وأوقع وجعًا من الصداع، ناهيك في هذه المعاني تشبيهه لهذه الحالة التألمية في لوحة برّاقة يشعر معه كل قارئ ومتلقٍّ، شبّه حالة أخذ الصداع مجمع رأسه حتى لا يترك معه جانبا من جوانب الرأس إلا ويتألم بحالة "المطرقة التي تدق على اليافوخ" وأنت تعلم مدى تأله في دقة ألفاظه حيث اختار لفظة "مطرقة" وما هي إلا آلة من حديد يضرب بها الحديد أو نحوه، يقال: "دقّ المسمار بالمطرقة: ألة للدق، لها رأس من حديد يشده مقبض من خشب أو نحوه".

فإذا فهم القارئ أسرار هذه المفردات المركبة ودقتها، ودلالتها المعجمية يشعر بمدى وقوعها في نفق المتلقى وما يعانيه الشاعر مما ألمّ له كالذي يضرب رأسه بالحديد، فالمشبه في هذه الصور إذن "حالة تدق المطرقة (الحديد) على جميع رأسه".

والأديب حرٌّ طليق في تخير ما يلائمه من صور التشبيه التي تشير الانفعال، والوجدان، والعاطفة، ومن الكم الجائز أن تخلع نعوت الكمال أو النقص بمنطلق البداهة دون التبصر الدقيق في مواقع الكلام وتأثيره في النفوس، ما دام الإبداع الفني قدريا على تحريك المعنى، وتخصيبه، وتركيزه وتقريره

[٣٢٩] اليافوخ: الموضوع الذي يتحرك من رأس الطفل، والمراد هنا: الرأس كله.

حتى يؤثر وينفذ في مواطن الشعور والحسن، وكلما تتوثق اللاقة بين المشبه والمشبه به، وتشدهما الصفة المشتركة يرتفع المعنى عن حدود البناء ءالشكلي إلى أعماق النفس، تحدث نزعة راقية، وتعظم في القيم الإنسانية، وإنما كان الترتيب فيه، لأن الحقائق تتغير للجميع، وأن الفنون تتداخل، وتتركب، وتأتلف ائتلاف الأشكال، وتصير إلى غاية واحدة.

المطلب الثالث: فن من طرق التشبيه باعتبار تعددهما إلى: الملفوف والمفروق والتسوية والجمع.

تناول الباحث في هذا المطلب صور طرق التشبيه باعتبار تعددهما حيث ورد هذه الفنون كثيرا في ديواني الرياض والسباعيات.

أ. التشبيه الملفوف: عبارة عن ذلك التشبيه الذي يتعدد فيه طرفاه، ويجمع كل طرف مع مثله، وذلك يتحقق في الإتيان بالمشبهات أوّلا، ثم بالمشبهات بها ثانيا، ومنه قول ابن المعتز:

لَيْلٌ وَبَدْرٌ وَغُصْنٌ شِعْرٌ وَوَجْهٌ وَقَدٌّ

خَمْرٌ وَدُرٌّ وَوَرْدٌ رِيقٌ وَشَعْرٌ وَخَدٌّ[٣٣٠]

ففي البيت الأول جمع بين مشبهات عدة وذلك في الشطر الأول، ثم ذكر المشبه به لكل منها في الشطر الثاني، فالليل مشبّه والشعر مشبّه به، وكذلك البدر مشبّه والوجه مشبه به، كذلك فالخمر مشبه به و ريق مشبه، والدر مشبه به، والثغر مشبّه، والورد مشبّه به والخد مشبه، ويسمى هذا النوع (ملفوفا) لأنه لفي المشبهات معًا، والأشياء المشبه بها كذلك[٣٣١].

[٣٣٠] عبد الله بن محمد. ١٩٦٩م. *ديوان ابن المعتز*. شرح وتقديم: ميشل نعمان. بيروت: لبنان. ص١٥٦.

[٣٣١] فضل، حسن عباس. *البلاغة: فنونها وأفنانها*. المرجع السابق. ص٦٠.

ب. التشبيه المفروق: ففيه يتعدد الطرفان، ويجمع كل طرف مع صاحبه، ذلك أن يؤتي بالمشبه والمشبه به معه على التوالي، نحو قول الشاعر:

النَّشْرُ مِسْكُ، وَالْوُجُوهُ دَنَانِيـ ـــرِ، وَأَطْـــرَافُ الْأَكُفَ بِالْعُنْمِ[٣٣٢]

في هذا البيت ورد المشبه به على إثر المشبه متواليين فالنشر (مشبه) والمسك (مشبه به)، ومشبّه الوجوه بالدنانير، وأطراف الأكف بالعنم[٣٣٣].

ت. تشبيه الجمع: عبارة عن إفراد المشبه وتعدد المشبه به، سمي بهذا المصطلح لأن المتكلم جمع مشبهات بها متعددة لمشبه واحد، وتأتي بلاغة هذا التشبيه من أن المتكلم أرشد إلى معان كثيرة في المشبه وصفات عديدة، فجعل لكل معنى ولكل صفة مشبّها به يعتمد عليه، استمع إلى أبي بكر محمد الخالدي:

يَـــا شَبِيـهَ الْبَـدْرِ حَسَنَا وَضِيَـــاءً وَمَنَـــالًا

وَشَبِيـــهُ الْغُصْـــنِ لِينًـا وَقَـــوَامًـــا وَاعتـــدَالًا

أَنْـتَ مِثْـلُ الْـوِرْدِ لَـوْنًا وَنَـسِيمًـــا وَمَـــلَالًا[٣٣٤]

فإذا قرأت هذه الأبيات الرائعة تجد أن المشبه واحد وهو ممدوحه، أما المشبه به فيها فمتعدد، وهو البدر جينا، والغصن طورا، والورد كرّة أخرى.

---

[٣٣٢] الجرجاني، الإمام عبد القاهر. *أسرار البلاغة*. المرجع السابق. ص٨٤.

[٣٣٣] أكنبي، عثمان عبد السلام. *المبسوط في دراسات علوم البلاغة*. مرجع سابق. س٤٦.

[٣٣٤] فضل، حسن عباس. *البلاغة: فنونها وأفنانها*. المرجع السابق. ص٦٥.

ث. تشبيه التسوية: عكس ما تقدّم قبل قليل، وهو أن يتعدد المشبه في حين كان المشبه به واحدا، مثاله قول الشاعر:

صُـــدَغُ الْحَبِيبِ وَحَـــالِي كِـــلاَهُـــمَا كَـالَّلَيَـــالِي

وَثَـــغْـــرُهُ فِـــي صَفَـاءِ وَأَدْمَـــعِـــي كَـالْآتِـــي[٣٣٥]

تأمل في البيتين ترى أن الشاعر شبّه صدغ الحبيب وحاله بالليالي، هنا مشبهان ومشبه به واحد في البيت الأول، كما شبّه ثغر حبيبه وأدمعه هو بالآتي، أيضا مشبهان ومشبه به واحد. وهذا الضرب اصطلح عليه علماء البيان باسم (تشبيه التسوية)، يطلق عليه هذا المصطلح لأنه سوّى بين المشبّهات بحيث جعل لها مشبّها به واحدًا، وهذا –بالطبع– أقل بلاغة من سابقة، ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أنه لا مفرّ من مناسبة بين كلا المشبّهين، فقد شبهوا "الرمش بالسهم، وشبهوا الحكمة التي تخرج من صاحبها بالسهم كذلك"، ولو أنك قلت: "الرمش والحكمة كالسهم" لم يكن له في النفس لطف وقبول، كاللطف الذب وجدته[٣٣٦].

أجل، لم يعثر الباحث في كلا الديوانين على أكثر من نموذج واحدٍ بعد تتبّع واعٍ ومشقة طويلة للتشبيه الملفوق، وهو قول الشاعر في "السباعيات":

خَيْـرُ النُّبُوَةِ فِي خَـيْـرِ الْأُمُـــومَـةِ إذ مِنْ جَيِّـــدِ النَّخْلِ يَأْتِي جَيّد التَّمْرِ[٣٣٧]

فإنّ الشاعر في هذا البيت الوحيد يشبه الولد الصالح (خير البنوة) بجيّد التمر حيث إن التمر لم يكن جيدا بنفسه وإنما هو نتيجة نحله، ثم شبّه الأم الصالحة بإذن ربه، وكأن الشاعر استوفى هذا المعنى

---

[٣٣٥] المراغي، أحمد مصطفى. ١٩٨٢م. *علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع*. المرجع السابق. ص٢٧٦.

[٣٣٦] فضل. حسن عباس. المرجع السابق. ص٥٩.

[٣٣٧] ألبي، عيسى أبو بكر. *السباعيات. المصدر السابق*. ص١٦٣.

وهذه الصور من الآية القرآنية حيث يوقل الباري: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا﴾ [٣٣٨]، كما استوعاه من مضمون هذا البيت:

صَنَائِعُ فَاقَ صَانِعُهَا فَفَاقَتْ وَغَرْسُ طَابَ غَارِسُهُ فَطَابَا

أما الضرب الثاني الذي هو التشبيه المفروق فقد وردت نماذج عدة في كل من الديوانين لهذا اللون التشبيهي، ففي "الرياض" أكثر من ١٣ مرة، وفي "السباعيات" تسع مرات، يكتفي الباحث بنموذجين اثنين في كلٍّ منهما، أما في الرياض فيقول الشاعر وهو يصف دولة الخوار:

وَتَوَهَمْتَ أَنَّ مِثْلَكَ طَوْدٌ فِي عُلُومِ النَّاسِ كَالْأَغْوَارِ

أَوْ تَرَى النّاسَ كُلُهُمْ كَالْفُحُومِ إِنَّمَا أَنْتَ فِي غَلَاءِ النِّضَارِ

أَوْ بَدَا النَّاسُ تَحْتَ فَضْلِكَ رِيقًا إِنَّمَا أَنْتَ فِي خَضْمِ الْبِحَارِ

وَتَطَرَهْتُ كَالنَّسِيمِ صَفَاءً إِنَّمَا الْغَيْرُ لَوْثَةَ الْأَكْدَارِ [٣٣٩]

وفي موطن آخر:

وَالنَّاسُ كَالْجِيدِ، إِنَّكُمْ لِجِيدِ حُسْنًا كَالْقَلَائِدِ [٣٤٠]

ودونك نموذجين آخرين من ديوان "السباعيات" حيث يقول الشاعر:

أَنْتْ رَيْحَانَةُ الْعُيُونِ فَجُودِي بِقَلِيلِ لَدَيْكَ الْمَوفُورُ [٣٤١]

ثم استمع إليه وهو يتغنى يوصف الهاتف المحمول:

آلَةُ مِثْلَ عُلْبَةُ الْكِبْرِيتِ صَوْتُهَا مِثْلَ رَنَةُ الْعِفرِيتِ [٣٤٢]

---

[٣٣٨] القرآن. الأعراف٧: ٥٨

[٣٣٩] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق. ص١٠٢.

[٣٤٠] المرجع نفسه. ص١٤٣.

[٣٤١] ألبي، عيسى أبو بكر. *السباعيات*. المرجع السابق. ص٣٥.

يقتصر البحث على تحليل نموذج واحد في كلّ من الديوانين بلاغيّا، فإنك تجد في الأبيات الأولى في "الرياض" أن كل بيت يحوي تشبيهين، تشبيه في الصدر وآخر في العجز، حتى تتمة الأبيات المسرودة آنفا، يصوّر الشاعر حالة المخاطب علوًّا وارتفاعا، ويرى الناس كالأغوار، وما أدراك ما الأغوار؟ جمع غور: كل منخفض من الأرض"، انظر كيف صوّر شخصية المتكبر وطويته، وما أحسن ما قيل فيه أ، مثله كمثل الصاعد يرى الناس صغارا ويرونه صغيرا، وما أكثر هؤلاء المغرورين في زمان الناس هذا، ودنياهم هذه! وما أروع هذا التصوري! ثم ارجع البصر كرتين إلى البيت الثاني يبدو الناس (مشبه) في نظر هذا الإنسان- كالفحوم (جمع الفحمة، وفحمة الليل: أشد سواده) مشبه به، هكذا يتراء الناس أمام كل متكبر جبار، في صورة بشعة جدًّا، وما هم إلا كسواد الليل، ثم واصل قائلا: أنت (مشبه) النضار (مشبه به) في الغلاء والرونقة والجمال والإشراقة وشتان ما بين الفحوم والنضار!

وفي البيت الثالث شبّه فضل الناس –إذا قيس بفضله هو وحده– بالريق في قلته وصالته، وفي عجز البيت يقول: "أنت (مشبّهًا) خضم البحار (مشبها به)، وهل يستوى الريق بالبحر فأحرى البحار؟!"

ثم في البيت الرابع يتضح كيف يسفّه هذا الخلق أحلام الناس ويلعب بعقولهم وينطر إلى يقينهم (مشبه) كالشك (مشبه به) في عدم الثبات وضعف الاستدلال، فها هو يرى حرفا منطوقا به من فيه (مشبه) كالبتار (مشبه به) تدعيما للحجة وتأييدا بالبرهنة، هكذا يصفّر الآخرين ويعظم نفسه حتى في النظافة والطهارة، اصغ إليه في البيت الأخير، يطيب بالباحث إعادة هذا البيت ليلمس القارئ فحواه بيده:

---

[٣٤٢] المرجع نفسه. ص٨٦.

وَتَطــرَهْتُ كَــالنَّسِيمِ صَفَــاءًا إِنَّــمَا الْغَيْــرُ لَــوْثَةَ الْأَكْدَارِ[٣٤٣]

المشبه هنا هو ضمير "ت" العائد إلى مخاطبه، والنسيم مشبه به في الصفاء والتقاء والرقة واللوثة؛ أما الغير (مشبّه) فلوثة الأكدار (مشبه به)، واللوثة: خرقة تجمع ويلعب بها، والأكدار: ضد الصافية من كل شيء لونا كان أو غيره.

وفي ظن الباحث أن القارئ يتمتع بهذه الصور التشبيهية الرائعة، وكأنه يقول لسان حاله: "هل من مزيد"؟، صوّر مخاطبة ولم يغادر صغيرة منها ولا كبيرة إلا أحصاها من سواء من توهماته الشنيعة، أم ظنونه الباطلة، أو اغتراره الفاحش، وأتى الشاعر بما يروق العي، ويلذ الوجدان.

وسيقف الباحث مع القارئ على هذا البيت المقتطف من "السباعيات" حيث يقول الشاعر:

وَالنَّــاسُ كَالْجِيــدِ، إِنَّكُمْ لِجِيــدِ حُسْنًا كَالْقَلَائِـدِ[٣٤٤]

في البيت تشبيهان مستقلان، أوّلا شبّه الشاعر الناس بالجيد (العنق أو مقدم العنق) في استعداده لقبول الحلي والزينة، ثم شبّه ممدوحه المتمثل في ضمير "كم" بالقلائد (ما يجعل في العنق من الحلي) إيماء منه إلى أن ممدوحه هو الزينة وجمال الدنيا وبهجتها، النس كلهم شيء وممدوحه شيء منه يستمد الآخرون قوي الجمال والبهاء.

أما الحديث عن تشبيه الجمع وإيراد بعض نماذجه، فقد ورد في "الرياض" ما لا يقل عن تسعة وعشرين أنموذجا لهذا اللون، وسبعة النماذج في "السباعيات" يكتفي للباحث أن يتوقف باثنين لكل منهما، أما في الرياض فيقول الشاعر في مدح الإلوري:

فَمَــتَى بَــدَأْتَ مَقَــالَــةً حَيَّــرْتَ أَصْحَــابَ الْجِدَالِ

---

[٣٤٣] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق. ص١٠٢.

[٣٤٤] المرجع نفسه. ص١٤٣.

وَمَـــــذَاقُـــهَا حِينَا عَسَلٌ حِينَـــا كَـطَعْـنٍ مِـــنْ نِصِالِ[٣٤٥]

ويقول في موضوع آخر:

أَيُّـــهَا الشِّعْـرُ أَنْتَ رَمْـــزُ جَمَالِ حِكْمَـــةُ اللَّهِ لُبُّ عَقْلِ الـرِّجَـالِ

أَنْتَ عِنْدِي فِي حَقِـــةِ الْقُطْنِ سَهْلُ وَلَـدِى الْبَعْضِ أَنْتَ مِثْلَ الْجِبَـــالِ

"صَـــالِحٌ" أَنْتَ مِثْلَ اِسْمِكَ فَافْرِحْ قَبْلَ اللَّهِ مِنْـــكَ كُـــلُّ الْفِعْـــالِ

كُنْتَ عِنْدِي مِثْلُ النَّدَى عِنْدَ جَدَبِ كُمَتَ عِنْدِي فِي "كَانُو" خَيْرَ ظِلاَلِ[٣٤٦]

وفي السباعيات يقول الشاعر:

هَـــذِهِ الـــدُّنْيَـا شُؤْونُ وَحَـــدِيثُ ذُو شُـــجُـونِ

هِيَ تَبْـــدُو كَجِنَـانٍ أَلَّا نَسِ أو مِثْـــلَ الْكُمَيْـــنِ[٣٤٧]

ويقول في وصف الحب:

مَـــنْ لِي بِـــإِعْـلاَمِ الْحَبِيبَـــةِ أَنَّهَا دَاءُ يَسْـــقِّمُ مَهْجَتِـــي وَدَوَاء[٣٤٨]

وتشبيه الجمع كما سبق تعريفه أن يكون المشبه مفردا والمشبه به متعدّدًا، فإنك تدرك بسهولة هذا المدلول البياني في النماذج المعروضة، ففي الأنموذج الأول شبّه الشاعر مذاقة مقال ممدوحه (العلامة الإلوري) أوّلا بالعسل يستيسغ تطبيقه أحباب الصدق في حياتهم الفردية والجماعية، مستبشرين بذلك متبهين، تلمع في وجوههم ملامح السرور، يجدون في هذا الاستماع إلى الحق المبين الحلاوة، وهذا المقال بالضبط عبد عند الآخرين الذين لا يستعدون لقبول النصيحة ولا يرتدعون عن غيهم يقع في قولب

[٣٤٥] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق.ص٤٩.

[٣٤٦] المرجع نفسه. ص٧٠.

[٣٤٧] ألبي، عيسى أبو بكر. *السباعيات*. المرجع السابق.ص١١٢.

[٣٤٨] المرجع نفسه. ص١٥١.

هؤلاء الناس موقع الطعن بالهسم والنصال، إذا: مذاقة مقال الإلوري (مشبه) عسل وطعن بالنصال (مشبه بهما).

أما في السباعيات فقد شبّه الشاعر الدنيا بالجنان أوّلا ثم بالكمين؟ اللبس أو الغموض في الأمر لا يفطن لموضعه شبّهها بالجنان لما فيها من متاعٍ وترفٍ ورغدٍ من جهة، وشبّهها بالكمين لتلون ظروفها وتنوع ملابساته، ترفع أقواما وتخفض آخرين، ولله در الحريري حيث يقول:

يَـــا خَـــاطِبَ الـدُّنْيَا الدَنِيّةَ إِنَّهَا شَـــرَكُ الـرَّدَى وَقَـــرَارَةُ الْأَكْـدَارِ

دَارُ مَتَى مَـــا أَضْحَكَتْ فِي يَوْمِهَا أَبْـــكَتْ غَـدًا بعدًا لَـهَا من دارَ[٣٤٩]

ويقول ابن الوردي:

أُتْـــرُكْ الْـدُّنْيَا فَمَـــنْ عَـادَاتِهَا تَـحْفُضُ الْعَـــالِي وَتُعْـــلِي مَـنْ سَفَلِ[٣٥٠]

وتشبيه التسوية المعرف بعكس الجمع، أي: الذي يتعدد المشبه فقط إلى ديواني شاعرنا يجد — حسبما يلاحظ الباحث — أن هذا النوع من الصور التشبيهية ورد ثلاث مرات في "الرياض" مرة واحدة في "السباعيات" تلك أربعة كاملة.

يقول الشاعر في رياضه:

وَالْأَرْضُ تَبْخَلُ لاَ تَجُودُ بِخَيْرِهَا وَسَمَاؤُنَا سَقْفُ بِلَا إِسْبَالِ[٣٥١]

وفي موضع آخر:

جَعَـــلَ الْبَيَـــانَ دَلِيلَـــهُ وَشِعَـــارَهُ فَبَـــدَا لِـــوَجْهِ الْبَاسِمِ الْـوَضّاءُ[٣٥٢]

---

[٣٤٩] الحريري، القاسم بن علي بن محمد. ١٩٧٨م. *مقامات الحريري*. دار الباز للنشر والتوزيع. ص١١٠.

[٣٥٠] القناوي، مسعود بن حسن بن أبي بكر. ٢٠١١م. *شرح لامية ابن الوردي*. دار النشر. ص٢٩.

[٣٥١] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق. ص٧٤.

[٣٥٢] المرجع نفسه. ص٩٩.

وقال في موطن آخر:

إِنَّ النَّجَـــاحَ وَإِنْ تَـــأَخَرَ قَـادِمُ وَيَـــزَالُ حُـزْنُ النَّاسِ بِاستبْشَارِ

مِثْـــلُ الظَّـلَامِ وَإِنْ تَفَـاقَمُ جَيْشُهُ يَنْجَـــابُ تَحْتَ جَحَافِلِ الْأَنْوَارِ[٣٥٣]

والموضع الوحيد الذي ورد فيه تشبيه التسوية في السباعيات يقول الشاعر:

شُـــؤمِي الِّلـوَاطَةِ وَالسِّحَاقِ كَبِيرَةٌ صِـــلِّ يَلْـــوثُ سَـــمَـــهُ بُلْدَانَا[٣٥٤]

للنا واضحا في النماذج المعروضة أن الشاعر في البيت الأول شبّه الأرض – في عدم الإنبات – والسماء – في عدم الإمطار – بالسقف، إذا أمامنا مشبهان مما (الأرض المجدية والسماء الغير الممطرة)، لمشبه به هو (السقف) مما يُدرج هذا النموذج تحت إطارة تشبيه التسوية بلا أدنى شك.

وفي المثال الثاني فإن الشاعر شبّه شيئين مستقلين بشيء واحد، أن الشيئان فـ"قدوم النجاح بعد تأخره، وزوال الحزن بعد استبشار" هذان مشبّهان، الآفاق كلها والمنكشف بعد طلوع الفجر جلاءا، فتأمل فيه أيها القارئ تدرك أن تلك الصور التشبيهية تتجسد في "قدوم النجاح بعد تأخره" (مشبه أول)، وزوال الحزن بعد البشرى (مشبه ثان) في حين كان المشبه به متمثلا في "الظلام الزائل بعد الفجر" جريًا وراء تشبيه التسوية.

والنموذج الأخير الملموس من "السباعيات":

شُـــؤمِي الِّلـوَاطَةِ وَالسِّحَاقِ كَبِيرَةٌ صِـــلِّ يَلْـــوثُ سَـــمَـــهُ بُلْدَانَا[٣٥٥]

فالشاعر في هذه القصيدة المعنونة بـ"الشذود الجنسي" يتحدث فيها عن مشكلات المجتمع الخليع والمنحل، والإعلان عن زواج المثلين جنسيا في أوروبا وأمريكا من الفساد الخلقي، وصوّر هذه

---

[٣٥٣] المرجع نفسه. ص٢٠٢.

[٣٥٤] ألبي، عيسى أبو بكر. *السباعيات*. المرجع السابق.ص١٣٣.

[٣٥٥] ألبي، عيسى أبو بكر. *السباعيات*. المرجع السابق.ص١٣٣.

الصور البشعة ببعض صورة أخرى إلى قلوب الناس وأخوفها إليهم، وهي تتمثل في الصل (جنس حيّات خبيث جدًّ) حتى تنفر منها نفوس العامة والخاصة، وهي باختصار الموت، ولم يكن مجرد موتٍ، بل موت يحدث الرعب يبعث الخوف والقلق.

"فاللواطة" عبارة عن مباشرة الرجل مع الرجل جنسيًّا (مشبه أول)، و"السحاق": مباشرة الأنثى مع الأنثى جنسيًّا (مشبه ثان)، "الصل" مشبه به، وأضاف قائلا: "يلوّن سمه بلدانا" إذا كان سمم ثعبان واحدٍ يقضي ويدّمر البلدان برمتها، فكيف إذا تعددت الحيات، حيث تزاول هذا الفساد الشعب الأمريكي والأروبي وغيرهما من الدول العالمية الراقية، فما ظنك بمصر هاتيك الدول وما حولها من مدن الدنيا وقراها إذا لم يقتعلوا منه؟

المبحث الثالث: التشبيه وأنواعه

خصص الباحث هذا المبحث أهم الفنون التشبيه البارزة في ديوان الرياض السباعيات، تناول في المطلب الأول التشبيه التمثيلي وغير التمثيلي، وفي المطلب الثاني التشبيه الضمني، والمطلب الثالث خصصه للتشبيه المقلوب

المطلب الأول: صورة التشبيه التمثيلي وغير التمثيلي

يتناول الباحث في هذا القسم صور التشبيه التمثيلي وغير التمثيلي في ديواني الرياض والسباعيات للشاعر ألبي.

ومن الجدارة بالذكر في هذه اللحظة الطيبة قبل مواصلة السير هو أن التشبيه التمثيلي مرّ بتطورات دلالته هائلة حسب تعاقب الأيام عند أساطين البيان وسنة البلاغة بدءا بالشيخ عبد القاهر

الجرجاني ومرورا بالسكاكي وانتهاء بالقزويني، فالتمثيلي عند الجرجاني: أن يكون وجه أما ما كان وجه الشبه فيه حسيًّا سواء كان مفردا أم مركبا فليس من التمثيلي في شيء، ويعتقد السكاكي صواب الجرجاني في بنائه التشبيه تمثيلا عنده إلا إذا كان الوجه منتزعا من متعدد، أما الذي استقر القزويني عليه البيانيون فيما بعد هو ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد، محسوسة كانت الصور أم معقولة؛ ذلك لأن هناك إبداعا في كثير من الفنون الحسية تتفاعل معها النفوس، فتجد فهيا بغيتها، إذا، المدلول البياني المتعارف عليه حاليًّا التشبيه التمثيلي ما هو إلا كزرع أخرج سطئه بالجرجاني، فآزره مستغلطا بالسكاكي، واستوى على سوقه بالخطيب القزويني والذين من بعده يعجب الزراع من البيانيين والمثبين[٣٥٦].

وباختصار الحكمة التشبيه التمثيلي: هو الذي تكون الصفة الجامعة فيه صورة منتزعة من متعدد، وهو نوع يتطلب طاقة ذهنية أكبر، وجهدا خياليًّا أعمق للتأليف بين الأشياء وانتزاع الصور بين المعاني[٣٥٧].

يقول أبو فراس الحمداني:

وَالْمَاءُ يَفْصِلُ بَيْنَ زَهْـ ـرِ الرَّوْضِ الشَّطَيْنِ فَصْلًا

كَبِسَاطِ وَشْيٍ جَرَّدَتْ أَيْدِي الْقُيُونِ عَلَيْهِ نَصْلًا[٣٥٨]

ترى أن الشاعر أبونواس يشبه حال ماء الجدول، وهو يجري بين روضنين على شاطئيه حلاّهما الزهر البديع ألوانه، منبثًا بين الخضرة الناضرة، بحال سيف لماع لا يزال في بريق حدته، وقدجرده القيون على بساط من حرير مطرز، ووجه الشبه أتظن أن الشاعر يريد أن يعقد تشبيهين الأول: تشبيه الأول

[٣٥٦] فضل، حسن عباس. المرجع السابق. ص٦٧-٧٥

[٣٥٧] المتبولي، شيخ كبر. المرجع السابق. ص١١٧.

[٣٥٨] الحارث بن سعد. ١٩٩٤م. *ديوان أبو فراس الحمداني*. شرح وضبط: عمر فاروق. دار الأرقم بيروت: لبنان. ص١٣٢.

بالسيف، والثاني: تشبه الروضة بالبساط وشي، لا إنه لم يقصد ذلك، وإنما يريد أن يشبه صورة رأها بصورة أخرى يريد أن يشبه حال الأول وهو بين الرياض بحال السيف فوق البساط الوشى، فوجه الشبه صورة لا مفرد، وهذه الصور ماخوذة أو منتزعة من أشياء عدة، والصور المشتركة بين الطرفين هي وجود بياض مستطيل حوله اخضرارٌ فيه ألوان مختلفة[٣٥٩].

وهناك عديد من التشبيه التمثيلي في كلا دواني شاعرنا، ولقدجاء في "الرياض " ما لا يقل عن عشرين مرة، وفى " السباعيات " أحد عشر موضعًا يغرب الباحث مثالين لكل كما في شواهده" الرياض":

مَنْ مَاتَ بَعْدَ حَيَاةٍ كَانَ فِي نَظَرِي كَايبِ سَالِمٍ مِنْ فِتْنَةِ السَّغَرِ[٣٦٠]

وفي موضع آخر لمصف المنية :

عَجَبًا لِمَا تَعْدُو الْمَشِيبَ قُدْوَتِى يَرْجُو الْفَنَاءَ وَتَشْتَهِي الشُّبَانَا

مِثْلَ الذُّبُولِ يُصِيبُ أَخْضَرُ زَهْرَةٍ تَسْبِي الْعُيُونَ وَيُهْجَرُ الْعِيدَانَا

كَالْسَبِيلِ تَجْرُفُ ما يلْقَحُ أَرْضُنَا لِتَعيشْ أَشْوَاكَ الـرُّبَى أَزْمَانَـــا

كَالْصَقْرِ يَفْتَكُ بِالْفِرَاعِ وَالْمَنْزِلِ رَغْبَاتُنَا شَدُّ أُمُّهَا تَحَـــــنَانَا[٣٦١]

أما في " السباعيات " يقول في قصيدة موسومة بـ " بين الشاعر والقمر":

بهاءُ وَجْهِكَ يَجْلِي هَمَّ ذِي وَلَهِ إِذَا تَأَخَرَ عَنْ أَحْبَابِهِ الْخَبَرُ

إِذَا اختفَيْتَ تَرَى الْأَكْوَانَ كَالِحَةً كَايبِ شَفَّهُ الْإِعْيَاءُ وَالْضَّجَرُ[٣٦٢]

---

[٣٥٩]المرجع نفسه. ص٧٦-٧٧.

[٣٦٠] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق.ص١٣٠.

[٣٦١] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق.ص١٦٢.

[٣٦٢] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق.ص١١٣.

وفي مكان آخر قائلا:

مَابَالُ أفريقيَا تُمْنَى بِأَضْرَارِ كَأَنَّهَا مِرْجَلٍ يُغْلَى عَلَى النَّارِ[٣٦٣]

وفي مكان أخر::

سِيَاسَةُ الْعَوْلَمَةِ السَّائِدَةِ لَيْسَ لَهَا نَفَعَ سِوَى الْمِشَأمةِ

مِنْ غُرِهِ بَارِقَهَا شَأْنُهُ كَطَالِبِ الْإِبرةِ فِي الْمُتْعَةِ[٣٦٤]

تأكد أيها القارئ أن التشبيه التمثيلى ليس ميدانا للشعراء البدائين، إذ لا يفوض في بحرة ولا يسبح في لجته إلا الذي يملك ناصية البيان من الشعراء الكبار، الأفذاذ، ومما يدل على شاعرية صاحب الديوانين وعبقريته الأدبية، أنه لم يترك بابًا من أبواب هذا الفن العميق، وذلك العلم الدقيق إلاطرقه ودخله من أشرف الأبواب، وسيقف القاري على تحليل نموذجين فقط بلاغيًا مما سبق عرضه.

أما الأول فتلكم الأبيات الجياد التي يمطرها الشاعر وتتساقط لؤلؤًا ومرجانًا، جعل منها مرآة شفافة وصورة طغافة للمنية وشؤونها الغريبة، وعاداتها العجيبة، أعد قراتها لتزداد شعورًا وانفعالًا، كما قال:

عَجَبًا لِمَا تَعْدُو الْمَشِيبَ قُدْوَتِى يَرْجُو الْفَنَاءَ وَتَشْتَهِي الشُّبَانَا

مِثْلَ الذُّبُولِ يُصِيبُ أَخْضَرُ زَهْرَةٍ تَسْبِي الْعُيُونَ وَيُهْجَرُ الْعِيدَانَا

كَالْسَبِيلِ تَجْرُفُ ما يلْقَحُ أَرْضُنَا لِتَعيشْ أَشْوَاكَ الـرُّبَى أَزْمَانَـــا

كَالْصَقْرِ يَفْتَكُ بِالْفِرَاعِ وَالْمَنْزِلِ رَغْبَاتُنَا شَدُّ أُمُّهَا تَحَـــــنَانَا[٣٦٥]

[٣٦٣] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق.ص١٧٩.

[٣٦٤] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق.ص١٨١.

[٣٦٥] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق.ص١٦٢.

فإنه أبدع في التشبيه المودع فيها، شبه حال المنية وشأنها في إفناء قضيب البان، وتركه الذي ذهب عنه الأطيبان، في إلمامه بالشبان وإمهاله الكبار، المشبه إذًا هو: " الموت المتعدي رقاب الطاعنين في السن إلى الشبان الذين هم في ريعان الحياة وربيع العمد " والأشياء.

المشبه بها كالآتية: أولا: " الذيول الذي يصيب الزهور الخضراء الجميلة الرائقة تاركا ما غّث وذوى. " ثانيا: " السبيل الذي يجرف كل ما ينفع العباد ويجدي البلا من النباتات تاركا وراءه الأشواك نامية زاهية" " ثالثا: " الصقر وهو من جوارح الطير من الفصيلة الصقرية يخطف بالأفراخ عادة ويغادر الأمهات " في هذه االفنون كلها لم يكن وجه الشبه محدّدا، أو مفردًا بعينه، وإنما مبعثرا يدرك بالذهن المتوقد، والفكر المتعمق.

وسيقوم الباحث بالتحليل البلاغي للنموذج المختار من " السباعيات " قوله:

بَهاءُ وَجْهِكَ يَجْلِي هَمَّ ذِي وَلَهِ إِذَا تَأَخَرَ عَنْ أَحْبَابِهِ الْخَبَرُ

إِذَا اختفَيْتَ تَرَى الْأَكْوَانَ كَالِحَةً كَايِبِ شَفَّهُ الْإِعْيَاءُ وَالْضَّجَرُ[٣٦٦]

فإن الشاعر في هذا النموذج يشبه حال الكون الذي اختفى فيه نور القمر بحال الآيب من سفر أتعبه طريقه وطفق يتفجر ولم يهدأ باله. ألم تر أنه قلت: الألوان كالآيب في أي وجه؟ اللهم إلا إذا كان صورة منتزعة تمثيليًا.

هكذا يستخدم الشاعر التشبيه التمثيلي لحصر تجارب الحياة، وتكسير مظاهرها، وتصور دقائقها على شفافية ذوي النفوس الكبيرة الذين يقيسون البعيد من القريب، ويحكمون ما لا يرون بما يرون حكما يخضع للمنطق السليم، ويعمد إلى سمر التشبيه ودقته تصويرًا جليلا لوقوع أعجب الأعاجيب وأندر

[٣٦٦] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق.ص١١٣.

النوادر في البناء والإحكام، وذلك ما أوحى إليه عقله عندما امتدت به روح الأداء الفني المتسم ببطولة الشاعرية وشهامته العبقرية.

أماغير التمثيلى: مرّ بك فيما مضى من البيانات أن التشبيه يسمى تمثيلًا إذا كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد، ويطلق على التشبيه مصطلح "غير التمثيلي" إذا لم يكن وجه الشبه فيه كذلك خذ على سبيل المثال قول الشاعر الفلانى في الرثاء:

هَلْ لِلْأُمُومَةِ فِي الْوُجُودِ نَظَائِرُ يَا لَائِمِي عِنْدَ النَحيبِ؟ فَهْاتِ

أَنْت الْوُضُوءُ وَمَنْ سِوَاكَ تيَممُ وَلِأَجْلِ مَوْتِكَ أَنْتَدَتْ وَرَفَانِي[٣٦٧]

يشبّه الشاعر الفقيدة المرحومة بالوضوء في وجوب حبها وضرورة الإحسان إليها، ثم شبّه غيرها من نساء العالم بالتيمم في كونه يلجأ إليه ضروريا إذا اضطر المتعبد، ففي هذا التشبيه ترى أنه صفة أو صفات اشتركت بين شيئين ليس إلا، وهي هنا عبارة عن اشتراك المرثى لها مع الوضوء في صفة الأهمية، واشتراك النساء الأزيات مع التيمم في صفة الاحتياج إليها للضرورة، ويسمى التشبيه الذي كان وجه الشبه فيه مفردًا، وكونه مفردًا لا يمنع من تعدد الصفات المشتركة تشبيها غير تمثيلي.

وآيات ذلك في الديوانين لا تحصى، وشواهده لا تستقصى، اصغ إليه في "الرياض" حيث يقول:

أَنْتَ بَحْرُ الْعُلُـــومِ وَالـدَّهْرُ يَدْرِي يَشْـــرَبُ النَّـــاسُ مَنْهُ مَـــاءَ الرَّشَادَ

أَنْـــتَ أُمٌّ لَهَا مِـــنَ النَّسْـلِ آلاَ فٌ وَلَكْـــنْ مَنْ أَنْـجَبَ الْأَوْلَادَ

بَعْـــلُهَا ذَلِكَ الْعَظِيـــمُ أَبُـــونَا أَدَمُ الْفَضْلِ قَـــائِدُ الْقُـــوَاد[٣٦٨]

ومنه قوله:

---

[٣٦٧] الفلاني، موسى يوسف. ٢٠١٩م. *وحي العواطق*. ط١. إلورن: مركز كيؤ داميلولا لخدمة الكمبيوتر والطباعة. ص٤٨.

[٣٦٨] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق. ص١٧٨.

نَظْرَةٌ مِنْكِ خَمْرَةٌ تُسْكِرُ اللُّـ** ـبَّ وَتُجْرِيَ الدِّمَاءَ فِي أَعْضَائِي[٣٦٩]

وفي "السباعيات" يقول في قصيدة معنونة بـ"الحوار الديني":

إِنَّ الْغُلُوَّ إِذَا امْتَطَيْتُمْ صَهْوَهُ** فِي الدِّينِ تَهْتَمُ وَهُوَ مِثْلُ مُعَادِ[٣٧٠]

وفي واد آخر قال:

قُرْآنُنَـا بَـحْرٌ تَلاطَمَ مَوْجُهُ ** أَوَى اللآلِئَ فِيهِ وَالْمَـــرْجَانَا[٣٧١]

ففي هذه الأبيات المعروضة كلها تشبيهات غير تمثيلية، إنها نظرة الفتاة الجميلة بالخمرة في إذهاب العقل، وشبّه القرآن بالبحر المتلاطم الأمواج في ضمّ اللآلئ والمرجان وغير ذلك من النفائس.

ويلاحظ أن التشبيه التمثيلي أبلغ من غيره لما في وجهه من التفصيل الذي يحتاج إلى إمعان فكر، وتدقيق نظر، وهو أعظم أثرًا في المعاني يرفع قدرها، ويضاعف قواها في تحريك النفوس لها، فإن كان مدحًا كان أوقع، أو ذمًّا كان أوجع، أو برهانًا كان أسطع، ثم يحتاج إلى الذهن في فهمه لاستخراج الصور المنتزعة من أمور متعددة، حسيّة كانت أو غير حسيّة لتكون وجه الشبه.

المطلب الثاني: فن من التشبيه الضمني

يتناول الباحث في هذا القسم التشبيه الضمني وكيفية استعماله في ديواني الرياض والسباعيات للشاعر ألبي.

[٣٦٩] المرجع نفسه. ص ٤٥.

[٣٧٠] ألبي، عيسى أبو بكر. *السباعيات*. المرجع السابق. ص٢٢.

[٣٧١] المرجع نفسه. ص٨٦.

التشبيه الضمني: التشبيه الذي لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يلمح هذان الطرفان، ويفهمان من المعنى، ويكون المشبه به دائما برهانا واضحًا، ودليلًا قويا على إمكان ما أسند إلى المشبه.[٣٧٢] ومنه قول المتنبي:

مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الْهَوَانُ عَلَيْهِ ** مَا لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيْلاَمُ[٣٧٣]

يوحي هذا البيت أن الذي اعتاد الهوان يسهل عليه تحمله، ولا يتألم من أجله، وليس هذا الادّعاء باطلا؛ لأن الميت إذا جرح لا يتألم ولا يشعر بالألم، ومع ذلك تلميح بالتشبيه في غير صراحة، وليس على صورة من صوره المألوفة، بل إنه تشابه يقتضي التساوي، وأما التشبيه فيقتضي التفاوت[٣٧٤].

وفي ديواني الشاعر ألبي عدة تشبيهات ضمنية، دون أمثلتها أوّلا في "الرياض"، قال في قصيدة عنوانها: "المعذبون في الأرض" وصفًا لحالة البلاد الاقتصادية والسياسية:

سِيَاسَةٌ لاَ نُرِيدُهَا أَبَدًا ** وَمَنْ يُرِيْدُ الْبَقَاءَ فِي الشَّجَبِ؟

ويقول في قصيدة أخرى:

قَانُوهُمْ عَلَيْهِ أَطْمَاعٌ فَهَلْ ** ذِئْبٌ يَسنُّ لِيُرْضِيَ الْحَمْلَانَا

وقوله:

وَطَلَبْنَا فِي لُجَةِ الْحُزْنِ شَطًّا ** أَتَرَى النَّارَ فِي خِضمِّ الْمَاءِ[٣٧٥]

وفي السباعيات يقول:

أُذْكُرِي فِي النَّعِيمِ أَيَامَ بُؤْسِ ** وَاذْكُرِي فِي الْبُكَاءِ سِرَّ الْعَرُوسِ

---

[٣٧٢] الهاشمي، السيد أحمد. *جواهر البلاغة*. المرجع السابق. ص٢٧٦.

[٣٧٣] المنتبي، أحمد بن الحسين بن الحسن. ٢٠٠٩م. *ديوان المتنبي*. ج١. بيروت لبنان. ص٢١٩.

[٣٧٤] الفلاني، موسى يوسف. ٢٠١٩م. *وحي العواطف*. ط١. مركز كيؤداميلولا لخدمات الكمبيوتر والطباعة. إلورن. ص٤٨.

[٣٧٥] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق. ص١٦٧-١٨٤.

أَيُّ شَيْءٍ يَدُوْمُ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْـ ** ـــلِ وَ لَا يَنْتَهِي بِنُورِ الشُّمُوسِ؟

وقال في وصف حقوق الإنسان:

نُصَدِّقُ فِرْيَةَ الْحُكَامِ دَوْمًا ** وَمَا فِي كُنْهِهَا إِلَّا يَبَابُ

وَكَيْفَ تَنَالُ الحمْلَانُ حُقُوقًا** بِبَيْتِ مَلَأَّ أَرْوِقَهُ ذِئْـابُ

وقوله في وصف الحنين:

وَالْمَـــــــرءُ يَأْلَفُ جَوّهُ ** لَوْ عَـــاشَ آلافُ السِّنِينَ

وَيُـــفْضَلُ النَّمْلُ الْمَعِيـ ** ـشَةَ فِي ثَرَى حِجْرِ مَكِينِ[٣٧٦]

التحليل البلاغي للشواهد المسرودة:

في البيت الأول الملموس من "الرياض" يبدو للباحث أن الشاعر حاول أن يقنع المتلقي أن النظام السياسي الذي يزاوله الوطن الحبيب لا يرضى به ذو عقل وبصيرة نافذة، ثم أتى بالبرهنة تدعيمًا لما ذهب إليه قائلا: "ومن يريد البقاء في الشجب" أي: هل هناك من يهوي البقاء في الهلاك والدمار؟ إذًا تشعر بلطافة أن الشاعر شبّه بقاء الشعب تحت سيطرة هذه السياسة بالبقاء في الضيق والفتنة من غير أن يقيم أية صورة للمشبه ولا للمشبه به.

وفي الشاهد الثاني أراد الشاعر كذلك الادعاء أن القانون المتبع في هذه الديار ما هو إلا لمصالح رجال الدولة فحسب ولم يكونوا وضعوه لمصالح الشعب النيجيري، فلا يرجو أحد من المواطنين قضاء حاجة أو رخاء عيش أو حياة سعيدة من عند هؤلاء الشرار، فإن لم تقتنع مع الشاعر في هذا فإنه يوجّه إليك سؤالا يقول فيه: "هل رأيت ذئبًا يسعى لإرضاء ومنفعة الشاة؟ إذا كان جوابك: لا، فاعلم أن رجاءك فيهم كرجاء الشاة في معونة الذئب بشيء من التلميح والإيماء وعدم التصريح.

[٣٧٦] ألبي، عيسى أبو بكر. *السباعيات*. المرجع السابق. ٨٧-١٠٠.

وفي النموذج الأخير المأخوذ من "السباعيات" فإن الشاعر حاول أيما محاولةٍ يقنع مخاطبه أن الإنسان لا يبرح يهتف به الشوق والحنين إلى وطنه مهما كان، وأقام دليلًا ساطعًا، وبرهانًا لامعًا على ذلك بأن النمل عادةً يفضل البقاء تحت الحجر لأنه مثواه الكريم، وعرشه العظيم، فإن تتعجب من إنسان يبكي من جراء ما ابتلي به من البون عن الوطن والأهل، فإن هذا العجب يزال عنك إذا اطلعت على شأن النمل وإيثاره البقاء في الحجر، ويرى الباحث أن الشاعر في هذه النماذج كلها لم يذكر ولو مرّة واحدة–طرفي التشبيه ولا أداته، بل جاء فقط بهذه الصور كأنه نسي أو تناسى أنها تشبيهية، ونسيانه أو تناسيه ذلك مما يضفي إلى جمال كلامه.

المطلب الثالث: فن من التشبيه المقلوب

التشبيه المقلوب: هو جعل المشبه مشبّهًا به ادّعاء أن وجه الشبه فيه أقوى وأظهر.

والمعلوم عند الجمهور أنه حين يراد إجراء تشبيه ما بين مشبه ومشبه به، فإنه يقصد–عادة–إلى إظهار وإبراز صفة المشبه وتوضيحها، وأن الصفة الأقوى في مثل هذا التشبيه يجب أن يكون في المشبه به وليس المشبه، أما إذا عكس التشبيه فجعل وجه الشبه أتمّ في المشبه منه في المشبه به، فهذا يعني قلب التشبيه، وهو ما اصطلح عليه علماء البيان باسم "التشبيه المقلوب أو المعكوس"، وقد سمّى ابن جني هذا النوع التشبيهي بـ"غلبة الفرع على الأصل"[٣٧٧]، كما أطلق عليه ابن الأثير مصطلح (الطرد والعكس). وأبدع وأظرف وأدمت مثال في هذه الناحية قول البحتري حيث:

[٣٧٧] أبو الفتح، عثمان بن جني. د.ت. *الخصائص*. تحقيق محمد علي البخاري. ج١. بيروت: عالم الكتب. ص٣٠٠.

كَأَنَّ سِنَادَهَا بِالْعَشِّيِ لِصُبْحِهَا ** تَبَسُّمُ عِيسَى حِينَ يَلْفِظُ بِالْوَعْدِ[٣٧٨].

فقد شبّه برق السحابة الذي استمرّ لمّاعًا طوال الليل بتبسم ممدوحه حينما يعد بالعطاء، ولا شكّ أن لمعان البرق أقوى من بريق الابتسام، فكان من السنة المعهودة أن يشبه الابتسام بالبرق كما هي عادة الشعراء، ولكن البحتري قلب التشبيه للمبالغة.

وفي ديواني الشاعر بعض الأنماط على هذه الشاكلة مرّة في "الرياض"، ومرة أخرى في "السباعيات" اصغ إليه وهو يترنم:

أَيُّ وِرْدٍ يَكُوْنُ أَحْلَى وَأَذْكَى ** فِي أَنُوفِ الْآبَاءِ كَالْأَوْلَادِ[٣٧٩]

وقال في "السباعيات" متغنيا بالحياة:

هَـــذِي الْحَيَـــاةُ حُلُوٌ نَغَمُهَا ** كَمَا حَلَّتْ أُنْشُودَةُ النَّاظِمِ[٣٨٠]

ولما كان الغرض البلاغي لا ينتهي به سفاسف القول، وفضاضة الأوهام، فإن البيتين لا يزالان يثيران مغزى جليلًا لإقرار بأن وجوه المبالغة جديرة بالمقام، انظر إلى البيت الأول المضروب به مثلا ينجلي لك أن هذه الأريحية الفنية تعظم فيه لما له من سحر بياني، حيث أتى بالورد (مشبّها)، والأولاد (مشبها به) في إحداث ريح طيبة بأنوف من يشمها، قل لي بربك هل الأولاد أحلى ريحًا وأذكى طيبًا من الورد حقيقة؟، المتوقع أن يشبه الأولاد بالورد في مثل هذا الوجه، لكن جاء الأمر معكوسًا، وما أبعد خياله المكتف فإنه يحكم الذوق مراعيًا في هذا كله الحال ومقتضياته.

---

[٣٧٨] ابن الأثير، ضياء الدين. ١٩٩٥م. *المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر*. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. ج١. بيروت: المكتبة العصرية. ص١٤٥.

[٣٧٩] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق. ص٩١.

[٣٨٠] ألبي، عيسى أبو بكر. *السباعيات*. المرجع السابق. ص١٠٦.

ولم يكن الشاهد الثاني المعروض أعلاه بأقلّ من سابقه بلاغةً وبيانًا، فإن قيمته التشبيهية قد تجلت إبانةً ووضوحًا بأبدع وسائلها الممكنة، متضحة المرامي، فتبعت منها وحدة فنية ذات حيوية، وحركة دائبة تأخذ بمجامع اللب والقلب، ولك يتمثل في تصويره الحياة الدنيا (مشبّها)، وأنشودة الناظم (مشبّهًا به) والعلاقة أو الصفة الجامعة بينهما الحلاوة، فإنه شبّه الكل بالجزء، والعام بالخاص، وكأن هذه الحياة أخذت نصيبها من الحلاوة من تلك الأنشودة، إذ جعلها أصلا والحياة فرعا منها، وما هاتيك الأنشودة إلا قطعة يسيرة من جملة الحلاوي المتواجدة في الدنيا، والدنيا كلها متاع، وقلب المشبه مشبا به، والمشبه به مشبّها في هذه الصور مبالغة غير فاحشة، إن دلّ على شيء فإنما يدل على براعة الشاعر وشاعريته، وإلمامه بفنون البيان وتطبيقها من غير تصنع ولا تكلف.

وقد شاع مثل هذا النوع من التشبيه كما يقول ابن الأثير في كلام العرب، واتسع أفقه حتى صار كأنه الأصل في التشبيه، والواقع أن هذا الضرب من التشبيه حسن الموقع، لطيف المأخذ، وهو مظهر من مظاهر الافتنان والإبداع في التعبير[٣٨١].

وعلى هذا الأساس يحسن التشبيه المعكوس (المقلوب) ويقبل، أما إذا ورد في غير المعهود المألوف في سنن العرب في كلامها فإنه يكون معيبًا، لأن المبالغة فيه تصيبه بالغموض، ويؤدي إلى التداخل بين طرفيه، فلا يعرف أيهما المشبه به.

ويقرب من هذا النوع ما أطلق عليه "تشبيه التفضيل" وهو أن يشبّه شيئا بشيء آخر لفظًا أو تقديرًا، ثم يعدل عن التشبيه لادّعاء أن المشبه أفضل من المشبه به[٣٨٢]. يقول الشاعر ألبي في "رياضه":

يَـا يَوْمَ هِجْرَةِ خَيْرِ مَنْ أَعْطَى إِذَا ** أَعْطَى فَأَيْنَ عَطِيَةُ الْأَبْحَارِ؟[٣٨٣]

---

[٣٨١] ابن الأثير، ضياء الدين. ١٩٩٥م. *المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر*. المرجع السابق. ص١٤٦.

[٣٨٢] عتيق، عبد العزيز. *علم البيان*. المرجع السابق. ص٦٩.

وفي موضع آخر:

مِصْبَاحٌ حَوْلَهُ بُدُور ** عَابَتْ بِأَنْوَارِهَا الْفَرَاقِد

وفي موطن آخر:

هُوَ فِي مَنَافِعِهِ الْجَلِيـ ** ـلَة لَا يُسَاوى بِالذَّهْبِ

وفي قصيدة أخرى قال:

مَا أَحْسَنَ الشِّعْرَ يَا مَوْلَايَ إِنَّ لَهُ ** طِيبًا يَفُوحُ يُحَاكِي رَدْنَ عَطَـارِ

لَهُ مِيَـاهٌ مِيَاهُ النِّيْلِ تَحْسُدُهَـا ** مَصْبُّهَا حِكْمَةٌ لَا بَطْنَ أَحْجَارِ

وقال أيضا:

يَـا حُجَّةَ الْإِسلام مَوْتُكَ طَعْنَةٌ ** فِي الْقَلْبِ آلَـمُ مِنْ نَفَاذِ سِهَامِ[٣٨٤]

حسبك النموذج الأخير وحده ليكشف العطاء ويسلط الضوء على هذا اللون البياني حيث شبّه وفاة الفقيد المرحوم الشيخ محمد الغزالي بالطعنة، ثم بالغ في الأمر مقرّا أن طعن الموت أوجع من نفاذ السهام على سبيل تشبيه التفضيل الذي هو فرع أو نوع قريب جد القرب من التشبيه المقلوب.

---

[٣٨٣] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق.ص٩١.

[٣٨٤] ألبي، عيسى أبو بكر. *السباعيات*. المرجع السابق. ص١٠٦.